

# تدبر القرآن

## الكريم

(مفهومه ، وأهميته ، ووسائله ، وثماره)

د. عبد الواسع محمد غالب الغشمي

أستاذ الحديث وعلومه المشارك - اليمن - جامعة الحديدة

## المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فإن حاجة الأمة إلى فهم كتاب الله - تعالى - وتدبره ماسة، قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ {ص: ٢٩}، إذ أن القرآن الكريم هداية للخلق، وبشرى للمؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ {الإسراء: ٩}، ولنا في الصحابة - رضوان الله عليهم - قدوة حسنة في قراءتهم للقرآن بقلوب واعية، وبصائر متفتحة، ومن ثم فهموا معانيه، وتدبروه حق تدبره، وعملوا به، واستنبطوا أحكامه، واتعظوا بمواعظه، فأثمرت تلك القراءة المتدبرة في حياتهم سلوكاً وواقعاً، حتى تراجع هذا المسلك الإيجابي في تلقي القرآن الكريم، وتضافرت عوامل عديدة في ذلك إلى أن وصلت الأمة إلى حالة من الأمية العقلية قل نظيرها، على الرغم من توفر الكثير من الوسائل التي أسهمت في تسهيل حفظ القرآن الكبير قراءةً وسماعاً وكتابةً.

وإن ما تعيشه أمة الإسلام اليوم من تخلف حضاري، وهزائم متكررة، وفرقة وشتات، وعجز في تعاملها مع الأحداث، واكتشافها للسنن والقوانين الكونية، ليدل دلالة واضحة على أن القرآن لم يعد مسيراً لأُمور حياتها، ولا ضابطاً لسلوكيات أفرادها ومجتمعاتها، فضلاً من أن يكون محل تدبر القلوب، واستلهام النفوس له، وهو المقصود من نزوله، ومن ثم كان إجراء هذا البحث، الذي سيناقدش : مفهوم التدبر، وأهميته، والوسائل المعينة له، والثمار الناتجة عنه، ثم يخلص إلى بيان واقعنا المعاصر، وموقفه من تدبر القرآن الكريم، واستلهام معانيه في حياته.

### أهداف البحث:

يهدف البحث إلى بيان الآتي:

- إظهار مفهوم التدبر وأهميته وحاجة الأمة إليه.

- بيان الآليات والوسائل المعينة للتدبر.

- بيان الثمرات الناتجة عنه.

- بيان حال واقعنا المعاصر وتدبر القرآن

### محتويات البحث:

يتكون البحث من ستة مباحث رئيسية، مبتدئاً بموضوعاته بمقدمة، ثم بخاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات:

المبحث الأول : مفهوم التدبر.

المبحث الثاني : مقاصد التدبر وأهميته.

المبحث الثالث : الوسائل المعينة على التدبر.

المبحث الخامس : ثمار التدبر.

المبحث السادس : واقعنا المعاصر وتدبر القرآن الكريم.

**منهجية البحث:** اتبع البحث منهج الاستقراء للآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ثم التحليل لمعطياتهما، ثم تتبع الواقعي لمآلات المسلمين الواقعية وأحوالهم.

### المبحث الأول : مفهوم التدبر:

١- **التدبر في اللغة:** مأخوذ من مادة (دَبَر)، قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): "وهو آخِرُ الشَّيء، وخلقه خلافُ قبله... ودَبَّرْتُ الحديثَ عن فلانٍ، إذا حَدَّثْتُ به عنه، وهو من الباب ؛ لأنَّ الآخِرَ المحدثُ يَدُبِّرُ الأوَّلَ يَجِيءُ خَلْفَهُ... وفي الحديث: "ولا تَدَابَرُوا"<sup>(١)</sup>، وهو من الباب، وذلك أن يترك كلُّ واحدٍ منهما الإقبالَ على صاحبه بوجهه..."<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو عُبيد (ت ٢٢٤هـ): "التَّدَابُرُ: المَصَارِمَةُ والهَجْرَانُ، مأخوذٌ من أن يُؤلِّيَ الرجلُ صاحبه دُبْرَهُ وَقَفَاهُ، ويُعْرِضَ عنه بوجهه"<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن منظور (ت ٧١١هـ): "دَبَّرَ الأَمْرَ وتَدَبَّرَهُ أي: نظر في عاقبته، و استَدَبَّرَهُ : رأى في عاقبته ما لم ير في صدره، وعَرَفَ الأَمْرَ تَدَبُّراً أي بأخِره، قال جرير :

ولا تَتَفَوَّنَ الشَّرَّ حَتَّى يُصِيبَكُم  
ولا تَعْرِفُونَ الأَمْرَ إِلَّا تَدَبُّراً"<sup>(٤)</sup>.

والتدبير في الأمر: أن تنظر إلى ما تؤول إليه عاقبته، والتدبر التفكير فيه، وفلان ما يدري قبالة الأمر من دباره، أي: أوله من آخره، ويقال: فلاناً لو استقبل من أمره ما استدبره لَهْدِي لَوْجَهَةَ أَمْرِهِ، أي لو علم في بدء أمره ما علمه في آخره لاسترشد لأمره"<sup>(٥)</sup>.

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: ( لو استقبلت من أمري ما استدبرت )<sup>(٦)</sup>، فأضاف التدبر إلى شأنه وأمره ﷺ.

وقال ابن القيم (ت ٧٥٢هـ): "وتدبر الكلام : أن ينظر في أوله وآخره، ثم يعيد نظره مره بعد مره ؛ ولهذا جاء على بناء التفعّل كالتجرع والتفهم والتبين"<sup>(٧)</sup>.

وقال الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) : "التَّدَبُّرُ: التَّفَكُّرُ أي تَحْصِيلُ المَعْرِفَتَيْنِ لِتَحْصِيلِ مَعْرِفَةٍ ثَالِثَةٍ، ويقال عَرَفَ

(١) صحيح مسلم ١٩٨٦/٤ ح (٢٥٦٤) أخرجه من حديث أبي هريرة.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٣/٣٢٤.

(٣) غريب الحديث ١٠/٢.

(٤) الأغاني ٣٠/٨.

(٥) لسان العرب ٤/٢٦٨.

(٦) صحيح البخاري ٢٦٤٢/٦ ح (٦٨٠٢).

(٧) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ١٨٣/١.

الأمَرِ تَدْبِرًا، أَي بِأَخْرَةٍ"<sup>(١)</sup>.

## ٢- التدبر عند المفسرين:

يتعدد فهم المفسرين للتدبر، ولكن مع تعدده يقترب بعضه من بعض ؛ إذ تؤكد تعاريفهم كلها على تأمل المعاني وتبصّر الآيات والأحكام ، فهو عند الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ): "تأمل معانيه، وتبصر ما فيه"<sup>(٢)</sup>، وعند القرطبي (ت ٦٧١ هـ): "التفكر فيه وفي معانيه"<sup>(٣)</sup>، وعند الخازن (ت ٧٤١ هـ): "تأمل معانيه، وتفكر في حكمه، وتبصر ما فيه من الآيات"<sup>(٤)</sup>، وعند أبي حيان (ت ٧٤٥ هـ): "التفكر في الآيات، والتأمل الذي يفضي بصاحبه إلى النظر في عواقب الأشياء"<sup>(٥)</sup>، وعند ابن القيم (٧٥١ هـ): "تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره وتعقله"<sup>(٦)</sup>.

وقال السيوطي (ت ٩١١ هـ): "وصفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكير في معنى ما يلفظ به، فيعرف معنى كل آية، ويتأمل الأوامر والنواهي، ويعتقد قبول ذلك، فإن كان مما قصر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر، وإذا مرَّ بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذاب أشفق وتعوذ، أو تنزيه نزه وعظم، أو دعاء تضرع وطلب"<sup>(٧)</sup>. وقال الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ): "وأصل التدبر: التأمل في أديار الأمور وعواقبها ثم استعمل في كل تأمل سواء كان نظراً في حقيقة الشيء وأجزائه أو سوابقه وأسبابه أو لواحقه و أعقابه"<sup>(٨)</sup>، فالتدبر عنده لم يقتصر على عواقب الأمور فحسب، بل امتد ليشمل حقائقها، وأسبابها، ولواحقها، وغير ذلك على وجه الإطلاق، وعلى هذا التعريف الواسع يكون مصطلح "التدبر" قد استعمل في حقيقته اللغوية، أما حقيقته الشرعية فيكون معناه: النظر والتوصل إلى مغزى الآيات القرآنية ومقاصدها وأهدافها وما ترمي إليه، عن طريق إعمال الفكر والتأمل وبذل الجهد الذهني في فهم الآيات.

وقال الشيخ السعدي (ت ١٣٧٦ هـ): "التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه"<sup>(٩)</sup>. وقال ابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ): "والتدبر: إعمال النظر العقلي في دلالات الدلائل على ما نصبت له،

(١) تاج العروس ٢٦٥/١١.

(٢) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٥٧١/١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٩٠/٥.

(٤) لباب التأويل في معاني التنزيل ٥٦٣/١.

(٥) البحر المحيط ٣٧٩/٧.

(٦) مدارج السالكين ٣٦٣/١.

(٧) الإتقان في علوم القرآن ٣٠٠/١.

(٨) روح المعاني ٩٢/٥.

(٩) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص (١٨٩).

وأصله أنه من النظر في دُرِّ الأمر، أي فيما لا يظهر منه للمتأمل باديء ذي بدء<sup>(١)</sup>، وقال أيضاً: "والتدبر: التفكير والتأمل الذي يبلغ به صاحبه معرفة المراد من المعاني، وإنما يكون ذلك في كلام قليل اللفظ كثير المعاني التي أودعت فيه بحيث كلما ازداد المتدبر تدبراً انكشفت له معانٍ لم تكن بادية له باديء النظر"<sup>(٢)</sup>.

وقال سلمان السنيدي: "هو تفهم معاني ألفاظه، والتفكير فيما تدل عليه آياته مطابقة، ودخل في ضمنها، وما لا يتم تلك المعاني إلا به، مما لم يعرج اللفظ على ذكره من الإشارات والتنبيهات، وانتفاع القلب بذلك، بخشوعه عند مواعظه، وخضوعه لأوامره، وأخذ العبرة منه"<sup>(٣)</sup>.

ومن النصوص والمصادر اللغوية والقرآنية السابقة نخلص إلى تحديد أمرين، الأول: إن مفهوم "التدبر" في مصادر اللغة له معنيان، حقيقي وهو الأصل، ومفاده آخر الشيء وخلفه، ومجازي، ومختصره النظر في عاقبة الأمر ونهايته، وما يؤول إليه، والنظر - أيضاً - في أول الكلام وآخره، ثم إعادة النظر فيه مرة بعد مرة، وهو نشاط وجهد ذهني يقوم به العقل بغية التوصل إلى عواقب الأمور ونتائجها، وبهذا يتم بتحصيل المعرفتين تحصيل معرفة ثالثة.

وهذا المعنى اللغوي حاصل في كتب التفسير، لكنه مخصص فيها بنصوص القرآن الكريم، ومن ثم فإن "التدبر" فيها لا يخرج عن المعاني الآتية:

١ - التأمل الذهني في معاني القرآن الكريم، وآياته، وأوامره، ونواهييه، ومبادئه، وعواقبه.

٢ - نظر القلب وجمع الفكر أيضاً فيه.

٣ - إعمال النظر العقلي في دلالات الدلائل على ما نُصبت له، ومن ثمَّ فإن هذه الخصوصية في معنى "التدبر" عند المفسرين تكاد لا تبتعد عن معنى النظر أو التأمل القلبي أو العقلي، وجمع الفكر بهما، إذا خصصنا هنا النظر العقلي بالجانب الذهني المحض، والنظر القلبي بالجانب الذهني والروحي معاً.

الثاني: أن هذا المختصر في فهم "التدبر" هو مراد البحث، والفهم الذي أصطلحه لبحثي، وأُقيّم به موضوعاته وأناقشها، مؤكداً على تأكيد الجرجاني (ت ٨١٦هـ) في التفريق الدقيق بين "التفكير"، و"التدبر"، إذ يقول: "والتدبر: هو النظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكير، إلا أن التفكير تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب"<sup>(٤)</sup>.

ومن ثمَّ يكون للتدبر معانٍ فكرية وروحية، تتصل بمقامات التعبد، والتقرب إلى الله، واتصال أشواق الروح به سبحانه بخلاف "التفكير" الذي يقترب في مهامه من مقاصد المعرفة واستكشاف الدلائل والأحكام، كما يمكننا أن نضيف هنا جانبين لمفهوم التدبر، الجانب المباشر: وهو التحديد الذي بينته في الفقرة السابقة، فحينما يذكر

(١) التحرير والتنوير ٨٧/١٨.

(٢) المصدر السابق ٢٣/٢٥٢.

(٣) تدبر القرآن ص (١١).

(٤) التعريفات ص (٧٦).

"التدبر" في آية، أو مقام شرح، أو توضيح له في القرآن، فإنه لا يتعد كثيراً عن السابق، والجانب غير مباشر: وهو عبارة عن ممارسات عملية تشمل أي مسلك تعبدي روحي، كالصلاة، أو الصوم، أو الزكاة ... وتشمل أيضاً القربات الأخرى التي يتقرب بها العبد إلى ربه، بتنفيذ الأوامر واجتناب النواهي، ومن ثم الأخذ بكل ما هو نافع ومفيد، كثمرة للتدبر، واستجابة من استجاباته.

### ٣- المعني في الآيات بالتدبر:

إن التدبر المأمور به في القرآن عام: يشمل المنافقين، والكفار، والمؤمنين. أما المنافقون: فقد وردت آيتان تأمرهم بالتدبر، وهما قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ<sup>١</sup> وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا

﴾ {النساء: ٨٢}، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ<sup>٢</sup> أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا<sup>٣</sup>﴾ {محمد: ٢٤}، وفي سياق هاتين الآيتين يقول الطبري (ت ٣١٠هـ): "أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ الله التي يعظم بها في أي القرآن الذي أنزله على نبيه -عليه الصلاة والسلام-، ويتفكرون في حُججه التي بينها لهم في تنزيله، فيعلموا بما خطأ ما هم عليه مقيمون، أم على قلوب أقفالها، يقول: أم أقفل الله على قلوبهم فلا يعقلون ما أنزل الله في كتابه من المواعظ والعبر ... إذ والله يجدون في القرآن زاجراً عن معصية الله، لو تدبره القوم فعقلوه، ولكنهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا عند ذلك"<sup>(١)</sup>.

وقال أبو حيان (ت ٧٤٥هـ): "وهذا استفهام معناه الإنكار أي: أفلا يتأملون ما نزل عليك من الوحي ولا يعرضون عنه، فإنه في تدبره يظهر برهانه وسطع نوره، ولا يظهر ذلك لمن أعرض عنه ولم يتأمله"<sup>(٢)</sup>. ومن يتأمل في دلالة هذا الاستفهام الإنكاري يجد أنه جاء بتوبيخهم على عدم التدبر، والتعجب من حالهم في استمرارهم على نفاقهم مع توفر أسباب الهداية وهو القرآن الذي يرده الرسول ﷺ على مسامعهم وبين ظهرانيهم ليل نهار، وهذا ما ذكره ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) فقال: "والاستفهام إنكاري للتوبيخ، والتعجب منهم في استمرار جهلهم مع توفر أسباب التدبر لديهم"<sup>(٣)</sup>.

وقال السعدي (ت ١٣٧٦هـ): "أي فهلاً يتدبر هؤلاء المعرضون لكتاب الله، ويتأملونه حق التأمل، فإنهم لو تدبروه لدلهم على كل خير، ولحدّهم من كل شر، ولملأ قلوبهم من الإيمان، وأفندتهم من الإيقان، ولأوصلهم إلى المطالب العالية، والمواهب الغالية، ولبيّن لهم الطريق الموصلة إلى الله، وإلى جنته ومكملاتها ومفسداتها، والطريق الموصلة إلى العذاب، وبأي شيء تحذر، ولعرفهم برهم، وأسمائه وصفاته وإحسانه، ولشوقهم إلى الثواب الجزيل، ورهبهم من العقاب الوبيل"<sup>(٤)</sup>.

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٧٩/٢٢.

(٢) البحر المحيط ٣/٣١٧.

(٣) التحرير والتنوير ١٣٧/٥.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص (٧٨٨).

ونخلص من ذلك: أن الله -تعالى- أنكر عليهم عزوفهم عن القرآن وعن قراءته بتدبر وأناة، وأنهم (أي المنافقون) لو أعملوا أذهانهم وأمعنوا النظر في القرآن وتدبروه بحق لوصلوا إلى نتيجة ؛ إذ أن القرآن كلام الله ليس فيه اختلاف البتة ؛ لأنه لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً، ولكن بسبب شكهم واضطرابهم وقلوبهم المغلفة القاسية التي كأنها مَكْبَلَةٌ بالأغلال لا ينفذ إليها نور القرآن لم يتمكنوا من تدبره، فمن أراد منهم أن يقف على تلك الحقيقة فعليه أن يقرأ القرآن كله بتدبر وتأمل، أما القراءة السريعة التي لا تأمل فيها لم توصل إلى تلك النتيجة.

وأما الكفار: فكذاك وردت فيهم آيتان، تأمرهم بالتدبر، وهما قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ {المؤمنون: ٦٨}، وقوله تعالى: ﴿كَتَبْنَا نَزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ {ص: ٢٩}، قال الطبري (ت ٣١٠ هـ): "أفلم يتدبر هؤلاء المشركون تنزيل الله وكلامه، فيعلموا ما فيه من العبر، ويعرفوا حجج الله التي احتج بها عليه فيه؟" ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾؟، أم جاءهم أمر ما لم يأت من قبلهم من أسلافهم، فاستكبروا ذلك وأعرضوا، فقد جاءت الرسل من قبلهم، وأنزلت معهم الكتب" (١).

وقال الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ): "﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ لإنكار الواقع واستقبحه... أي فعلوا ما فعلوا من النكوص والاستكبار والمجر، فلم يتدبروا القرآن ليعلموا بما فيه من وجوه الإعجاز أنه الحق من ربهم فيؤمنوا به، وأم في قوله تعالى: ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ منقطعة وما فيها من معنى للإضراب، والانتقال من التوبيخ بما ذكر إلى التوبيخ بآخر، والهمزة لإنكار الوقوع لا لإنكار الواقع، أي بل أجهلهم من الكتاب ما لم يأت آباءهم الأولين حتى استبعدوه فوقعوا فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال" (٢).

وقال الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ): "بين سبحانه أن سبب إقدامهم على الكفر هو أحد هذه الأمور الأربعة : الأول : عدم التدبر في القرآن، فإنهم لو تدبروا معانيه لظهر لهم صدقه وآمنوا به وبما فيه" (٣). وقال السعدي (ت ١٣٧٦ هـ): "أي أفلا يتفكرون في القرآن ويتأملونه ويتدبرونه، فإنهم لو تدبروه لأوجب لهم الإيمان ولمنعهم من الكفر، ولكن المصيبة التي أصابتهم بسبب إعراضهم عنه" (٤).

ونخلص في هذا: إن كفار مكة لم يكونوا من المتدبرين للقرآن، ولم يعطوا لأنفسهم فرصة النظر فيه ليتبين لهم

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥٦/١٩.

(٢) روح المعاني ٥٠/١٨.

(٣) فتح القدير ٤٩٢/٣.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص (٥٥٤).

حقيقته، بل كانوا ينهون الناس عن الاستماع للقرآن الكريم ويقولون: هذا أساطير الأولين، وإفك قدس من كلام الكهان، وإن هو إلا قول البشر، وإن هذا إلا سحر يؤثر، واستمروا في تكذيبهم به، ولو أنهم تدبروه لصدّقوا بما فيه، وعلموا أنه كلام رب العالمين.

**وأما عموم المؤمنين:** فتدبر القرآن في حقهم واجب، وهم مأمورون به ؛ لأنهم أهل الانتفاع، وكل واحد بحسب قدراته وطاقاته الإدراكية القابلة للاكتساب والزيادة، فلا يُعذر أحد بعدم التدبر، وقد دل على ذلك سياق

الآية الكرمة ﴿لِيَذَّبَرُواْ عَيْنَيْهِ﴾ {ص: ٢٩}، التي فيها قراءتان: **القراءة الأولى:** وهي قراءة الجمهور بإدغام التاء في الدال<sup>(١)</sup>، وفيه بيان علة إنزال هذا الكتاب، وأن الهدف من إنزاله هو تلاوته وتدبره<sup>(٢)</sup>، وتوجيه الأمر إلى عموم الناس لا يفيد بأن الأمر منصرف عنه ﷺ، بل إن الأمر بالتدبر موجه إليه ﷺ ابتداءً ؛ إذ هو المبلغ لكلام الله، فهو داخل في الأمر ابتداءً، ولقد كان عليه الصلاة والسلام في غاية التدبر والتفكير لكتاب الله تعالى<sup>(٣)</sup>،

**والقراءة الثانية:** ﴿لَتَذَّبَرُواْ﴾ قال الطبري (ت ٣١٠ هـ): "وقراءة أبي جعفر وعاصم "لَتَذَّبَرُواْ آيَاتِهِ" بالتاء، بمعنى: لتدبره أنت يا محمد وأتباعك"<sup>(٤)</sup>، وقال ابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ): "وقرأ أبو جعفر لتدبروا (بتاء الخطاب وتخفيف الدال وأصلها: لتدبروا، فحذفت إحدى التاءين اختصاراً، والخطاب للنبي ﷺ ومن معه من المسلمين"<sup>(٥)</sup>. كما أن في هذه القراءة توجيه اشتراك الأمة بالتوجيه الرباني بأن تدبر كتاب ربها - سبحانه وتعالى -، فهي مقصودة بالتدبر مخاطبة به.

وقال الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ): "وفي الآية دليل على أن الله إنما أنزل القرآن للتدبر والتفكير في معانيه، لا مجرد التلاوة بدون تدبر"<sup>(٦)</sup>.

### المبحث الثاني : مقاصد التدبر وأهميته:

لقد بيّن المولى - سبحانه وتعالى - أن الغاية والقصد من نزول القرآن هو العمل به، والالتزام بتعاليمه، وتحصيل هذه الأمور بتدبر القرآن والتفكير في معانيه ؛ ولذلك فإن قراءة سورة بتدبر خير من قراءة عدد من السور بدون ذلك، قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا لَهُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَذَّبَرُواْ عَيْنَيْهِ وَلِيَسْتَذْكُرُواْ أُولَآئِالَّذِينَ﴾ {ص: ٢٩}، قال الطبري (ت ٣١٠ هـ): "أي ليتدبروا حجج الله التي فيه، وما شرع فيه من شرائعه، فيتعظوا ويعملوا به"<sup>(٧)</sup>،

(١) النشر في القراءات العشر، لابن الجزري ٣٦١/٢.

(٢) البحر المحيط، لأبي حيان ٣٧٩/٧.

(٣) نظم الدرر ٣٨٢/٦.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٩٠/٢١، المبسوط في القراءات العشر ص (٣١٩).

(٥) التحرير والتنوير ٢٣/٢٥٢.

(٦) فتح القدير ٤/٤٣٠.



به" <sup>(١)</sup>، وقال الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) : " والمعنى كتاب أنزلناه إليك يا محمد كثير الخير والبركة" <sup>(٢)</sup>، ولا شك أن القرآن تكمن بركته في أمور كثيرة منها : كثرة أوامره ونواهيه، وتنوّع مواعظه وزواجره، والاعتبار بما فيه من القصص والأخبار، وتعلّل أمثاله المضروبة وما اشتمل عليه من الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، من أجل أن يرعوي العبد فيستدرك ما وقع له من تقصير، ويزداد من الإقبال والتشميم في طاعة الله - تعالى - لتحصل له السعادة في الدارين.

وقال السيوطي (ت ٩١١ هـ): " وثُسِّقَ القراءة بالتدبير والتفهم فهو المقصود الأعظم والمطلوب الأهم، وبه تشرح الصدور وتستنير القلوب" <sup>(٣)</sup>، فالمقصود أن يكون هذا القرآن منهاجاً للعمل وهادياً للسلوك ؛ لأن من تدبّر كلام الله كان ذلك دافعاً له للعمل، ومن أحسن العمل نال المنازل العالية في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يحبه الله ويحبه الناس، وترتفع منزلته عندهم، قال ﷺ : ( إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع آخرين ) <sup>(٤)</sup>، وفي الآخرة له الدرجات العلى، قال ﷺ : ( يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به، تقدمه سورة (البقرة)، وآل عمران )، وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد قال: " كأخما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق" <sup>(٥)</sup>، أو كأخما حزقان <sup>(٦)</sup> من طير صواف تحاجان عن صاحبهما <sup>(٧)</sup>.

وبدون العمل يصبح العلم وبالأعلى صاحبه، فما وفر في القلب، وما استوعبه الذهن، يزداد رسوخاً إذا صدّقته الأفعال .

قال الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ): " وما من شك أن العمل بالعلم يقرّره في النفس أبلغ تقرير ، وينقشه في صحيفة الفكر أثبت نقش ، على نحو ما هو معروف في فن التربية وعلم النفس، من أن التطبيق يؤيد المعارف والأمثلة تقيد القواعد، ولا تطبيق أبلغ من العمل، ولا مثال أمثل من الاتباع، خصوصاً المعارف الدينية فإنها تزكو بتنفيذها وتزيد باتباعها، قال تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ { الأنفال: ٢٩ }، أي هداية ونوراً تُفَرِّقون به بين الحق والباطل وبين الرشd والغى" <sup>(٨)</sup>، لذلك ينبغي أن يكون التدبير دافعاً للعمل المثمر الذي يكسب صاحبه

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٩٠/٢١.

(٢) فتح القدير ٤٣٠/٤.

(٣) الإتيان في علوم القرآن ١٤٠/١

(٤) صحيح مسلم ٥٥٩/١ ح (٨١٧).

(٥) شرق : الضوء وهو الشمس ، النهاية في غريب الحديث ١١٤٣/٢.

(٦) حزقان: لحزق والحزقة : الجماعة من كل شيء، النهاية في غريب الحديث والأثر ٩٤٨/١.

(٧) صحيح مسلم ٥٤٤/١ ح (٨٠٥).

(٨) مناهل العرفان ٣١١/١.

السعادة في الدارين.

ولقد أشار النبي ﷺ إلى تعلم القرآن الكريم، وبَيَّن ثماره، كون التعلم آله ووسيلة لتدبر القرآن فقال ﷺ : ( ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده )<sup>(١)</sup>.

وعن عقبة بن عامر قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال: ( أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان<sup>(٢)</sup> أو إلى العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين<sup>(٣)</sup> في غير إثم ولا قطع رحم ؟ ) فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك قال: ( أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله ﷻ خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل ؟ )<sup>(٤)</sup>.

والحاصل أنه ﷺ أراد ترغيبهم في الباقيات وتزهيدهم عن الفانيات، فذكره هذا على سبيل التمثيل والتقريب إلى فهم العليل، وإلا فجميع الدنيا أحقر من أن يقابل بمعرفة آية من كتاب الله -تعالى- ، أو بثوابها من الدرجات العلى<sup>(٥)</sup>.

### المبحث الثالث: وسائل تدبر القرآن:

لا يمكن للفرد أو المجتمع تحقيق معنى التدبر المطلوب إلا بواسطة وسائل عديدة ، فهي الحجر الأساس، وبدون معرفتها وتطبيقها وممارستها عملياً تصبح تلك المعلومات مجرد نظريات وأمنيات ، ومن هذه الوسائل:

#### ١- الدعاء :

وهذه هي نقطة البداية مع تدبر القرآن ، فالدعاء من أهم مفاتيح فهم القرآن ووعيه، فمهما بذل الإنسان من وسائل، ومهما اتخذ من طرق، ومهما توقّرت لديه الإمكانيات البشرية والمادية، ومهما اجتهد فلن يظفر بمראה إذا لم يُعنه مولاه -سبحانه وتعالى-، فليدعُ العبد ربه أن يرزقه العيش في رحاب القرآن، وأن ييسّر له فهم آياته وألفاظه، وأن يجعله ربيعاً لقلبه وفؤاده.

#### ٢ - الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم:

وليس المراد بها هنا مجرد التلفظ بالتعوذ، بل استعاذة حقيقية، قال ابن كثير (ت٧٧٤هـ): " والمعنى في

(١) صحيح مسلم ٢٠٧٤/٤ ح (٢٦٩٩).

(٢) بُطحان : هو وادٍ من أودية المدينة مَسِيلٌ للماء ، النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٥٣٣/٣.

(٣) كوماوين: ثنية كوما، وهي من الإبل العظيمة السنام، كشف المشكل من حديث الصحيحين ١/١١١٢.

(٤) صحيح مسلم ٥٥٣/١ ح (٨٠٣).

(٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود، ٢٣١/٤.

الاستعاذة عند ابتداء القراءة ؛ لئلا يلبس على القارئ قراءته ويخلط عليه، ويمنعه من التدبر والتفكير<sup>(١)</sup>، فهي تمهيد للجو الذي يُتلى فيه كتاب الله، وتطهير له من الوسوسة واتجاه بالمشاعر إلى الله خالصة ، لا يشغلها شاغل من عالم الرجز والشر الذي يمثله الشيطان.

### ٣- تفعيل وسائل التدبر الإدراكية في النفس ومنها:

#### أ- إعمال السمع في الإنصات للقرآن:

وقد ذكر السمع مُقدِّماً على الحواس كلها في أغلب المواضع في القرآن لأهميتها.

قال ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ): "وفي تقديم السمع على البصر في مواقعه من القرآن دليل على أنه أفضل فائدة لصاحبه من البصر ؛ فإن التقديم مؤذن بأهمية المُقدِّم ؛ وذلك لأن السمع آلة لتلقي المعارف التي بها كمال العقل ، وهو وسيلة بلوغ دعوة الأنبياء إلى أفهام الأمم على وجه أكمل من بلوغها بواسطة البصر لو فقد السمع، ولأن السمع ترد إليه الأصوات المسموعة من الجهات الست بدون توجه، بخلاف البصر فإنه يحتاج إلى التوجه بالالتفات إلى الجهات غير المقابلة"<sup>(٢)</sup>.

ولأجل ذلك حثَّ الله - تعالى - على إعمال السمع فقال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ {الأعراف: ٢٠٤}، قال الطبري (ت ٣١٠هـ): "أصغوا له سمعكم ؛ لتتفهموا آياته، وتعتبروا بمواعظه، وأنصتوا إليه لتعقلوه وتتدبروه، ولا تلغوا فيه فلا تعقلوه"<sup>(٣)</sup>.

ولقد أثنى الله على الجن عند استماعهم للقرآن، وتأديهم في مجلس الاستماع، فقال تعالى : ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ {الجن: ١-٢}، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ {الأحقاف: ٢٩} فقد استمعوا صامتين منتبهين حتى النهاية، فلما انتهت التلاوة لم يلبثوا أن سارعوا إلى قومهم، وقد حملت نفوسهم ومشاعرهم منه ما لا تطيق السكوت عليه أو التلکؤ في إبلاغه والإنذار به.

قال الآجري (ت ٣٦٠هـ): "وقد أخبرنا الله عن الجن في حُسن استماعهم للقرآن واستجابتهم لما نديهم إليه، ثم رجعوا إلى قومهم، فوعظوهم بما سمعوا من القرآن، بأحسن ما يكون من الموعظة"<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير القرآن العظيم ٦٠٢/٤.

(٢) التحرير والتنوير ٢٥٨/١.

(٣) جامع البيان ٣٤٤/١٣-٣٤٥.

(٤) أخلاق حملة القرآن ٢/١.

ولقد أحب النبي ﷺ أن يستمع للقرآن من غيره، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: ( اقرأ علي ) ، قلت: اقرأ عليك وعليك أنزل ؟، قال: ( فإني أحب أن أسمع من غيري ) ، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ {النساء: ٤١}، قال: ( أمسك ) ، فإذا عيناه تذرفان<sup>(١)</sup>. فتأثر النبي ﷺ بذلك ، وما يكون عليه الحال يوم القيامة من هول ، وشدة الأمر ؛ إذ يؤتى بالأنبياء شهداء على أممهم ، ويؤتى به رضي الله عنه يوم القيامة شهيداً عليهم جميعاً.

ولقد تأثر بعض الصحابة عند سماعهم للقرآن فأسلموا، فعن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه، وكان في أساري بدر، قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَلْقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمَصْبُطُونَ ﴾ {الطور: ٣٤ - ٣٦} كاد قلبي أن يطير<sup>(٢)</sup>.

قال الخطابي (ت ٣٨٨هـ) : "كأنه انزعج عند سماع هذه الآية ؛ لفهمه معناها ومعرفته بما تضمنته، ففهم الحجة فاستدركها بلطف طبعه"<sup>(٣)</sup>.

وقد صنف ابن القيم الناس عند سماع القرآن إلى ثلاثة أنواع، فقال: "رجلٌ قلبه ميتٌ، فذلك الذي لا قلب له، فهذا ليست الآية ذكرى في حقه.

الثاني: رجلٌ له قلب حيٌّ مستعدٌ، لكنه غير مستمعٍ للآيات المتلوة، التي يخبر بها الله عن الآيات المشهودة، إما لعدم وُزودها، أو لوصولها إليه وقلبه مشغول عنها بغيرها، فهو غائب القلب ليس حاضراً، فهذا أيضاً لا تحصل له الذكرى، مع استعداد وجود قلبه.

والثالث: رجلٌ حيُّ القلب مستعدٌ، ثلثت عليه الآيات، فأصغى بسمعه، وألقى السمع، وأحضر قلبه، ولم يشغله بغير فهم ما يسمعه، فهو شاهد القلب، مُلقِي السَّمْع، فهذا القسم هو الذي ينتفع بالآيات المتلوة والمشهودة.

فالأول: بمنزلة الأعمى الذي لا يُبصر.

والثاني: بمنزلة البصير الطَّامِح ببصره إلى غير جهة المنظور إليه، فكلاهما لا يراه.

والثالث: بمنزلة البصير الذي قد حدَّق إلى جهة المنظور، وأتبعه بصره، وقابله على تَوْسُطٍ من البُعد والقرب، فهذا هو الذي يراه"<sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح البخاري ٤/١٦٣٧ ح (٤٣٠٦)، صحيح مسلم ١/٥٥١ ح (٨٠٠).

(٢) صحيح البخاري ٣/١١١٠ ح (٢٨٨٥)، ٤/١٨٣٩ ح (٤٥٧٣).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر ٨/٦٠٣.

(٤) مدارج السالكين ٩/٣٥٣-٣٥٤.

## ب- إعمال البصر في تدبر القرآن :

كلمة بصر تطلق على الجارحة الناطقة<sup>(١)</sup>، كما في قوله تعالى: ﴿كَلِمَاحٌ بِأَبْصَرِ﴾ {القمر: ٥٠}، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ {السجدة: ١٢}، أما قوة القلب المدركة فيقال لها بصيرة<sup>(٢)</sup>، نحو قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ {ق: ٢٢}، فالبصيرة تختلف عن البصر، فهي قوة القلب المدركة وجمعها بصائر، أما البصر فجمعه أبصار<sup>(٣)</sup>.

وكلمة نظر إذا أطلقت يراد بها تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد بها التأمل والتفحص لإدراك الشيء<sup>(٤)</sup>، ومنها قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ {الأعراف: ١٨٥}، والنظر يشمل: النظر في آيات الله المشهودة، والنظر في آياته المسطورة، والنظر في سنته في الأمم السابقة.

أما رأى ومشتقاقها فتعني النظر بالعين والقلب وإدراك المرئي، والهدف من ذلك التدبر والاعتبار، ولقد وضع القرآن الكريم أسساً وأطواراً مختلفة للإدراك البصري الصحيح، يبدأ بنظرة كلية إجمالية ثم بنظرة تحليلية للموقف، وإدراك العناصر المكونة له، وقد تضمنت آيات سورة الملك تلك الأسس العملية في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ﴾ {الملك: ٣}<sup>(٥)</sup>.

قال ابن القيم (٧٥١هـ): "لا ينتفع الناظر بمجرد رؤية العين حتى ينتقل منه إلى نظر القلب في حكمة ذلك، وبديع صنعه والاستدلال به على خالقه وباريه، وذلك هو الفكر بعينه"<sup>(٦)</sup>.

## ج - اقتران القلب بحاستي السمع والبصر :

قال ابن القيم (٧٥١هـ): "ارتباط القلب بحاستي السمع والبصر أشد من ارتباطه بغيرهما، ووصول الغذاء

(١) تاج العروس ٢٤٥/١٤.

(٢) المصدر السابق ٢٤٥/١٤.

(٣) تاج العروس ٢٤٥/١٤.

(٤) المصدر السابق ٢٤٥/١٤.

(٥) تدبر القرآن بين النظرية والتطبيق د. رقية العلواني ص(٤٦).

(٦) مفتاح دار السعادة ٢١٣/١.

منهما إليه أكمل وأقوى من سائر الحواس، وانفعاله عنهما أشد من انفعاله عن غيرهما، ولهذا تجد في القرآن اقتترانه بهما أكثر من اقتترانه بغيرهما، بل لا يكاد يقرن إلا بهما أو بأحدهما<sup>(١)</sup>، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ {الأعراف: ١٧٩}، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ {النحل: ٧٨}.

وسر الاقتران: أن هذه الثلاثة: هي طرق العلم وهي: السمع، والبصر، والعقل.

قال الشيخ السعدي (ت ١٣٧٦هـ): "خص هذه الأعضاء الثلاثة، لشرفها وفضلها، ولأنها مفتاح لكل علم، فلا يصل للعبد علم إلا من أحد هذه الأبواب الثلاثة، وإلا فسائر الأعضاء والقوى الظاهرة والباطنة هو الذي أعطاها إيها، وجعل ينميها فيهم شيئاً فشيئاً إلى أن يصل كل أحد إلى الحالة اللاتقة به؛ وذلك لأجل أن يشكروا الله، باستعمال ما أعطاها من هذه الجوارح في طاعة الله، فمن استعملها في غير ذلك كانت حجة عليه وقابل النعمة بأقبح المقابلة"<sup>(٢)</sup>.

والقلب هو المخاطب في الحقيقة؛ لأنه موضع التمييز والاختبار، وأما سائر الأعضاء فمُسَخَّرَةٌ له<sup>(٣)</sup>، فإن صلح صلحت الأعضاء، وإن فسد فسدت.

فعن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ( ... ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب )<sup>(٤)</sup>.

قال ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ): "والقلب هو الملك والأعضاء جُنُودُهُ، وَإِذَا صَلَحَ صَلَحَ سَائِرُ الْجَسَدِ، وَإِذَا فَسَدَ فَسَدَ سَائِرُ الْجَسَدِ، فَيَبْقَى يَسْمَعُ بِالْأُذُنِ الصَّوْتَ كَمَا تَسْمَعُ الْبَهَائِمُ"<sup>(٥)</sup>.

ومن المعلوم أن القلب إذا أحب شيئاً تعلق به، واشتاق إليه، وشغف به، وانقطع عما سواه.

#### ٤- ترتيل القرآن وحضور القلب عند تلاوته:

يستحب ترتيل القرآن لما فيه من تعظيم له، والترتيل معناه: التنسيق والتنضيد، ويعني إرسال الكلمة من الفهم

(١) مدارج السالكين ١٣٢/٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص (٤٤٥).

(٣) مفاتيح الغيب ١٤٢/٢٤.

(٤) صحيح البخاري ٢٨/١ ح (٥٢)، صحيح مسلم ١٢١٩/١ ح (١٥٩٩).

(٥) مجموع الفتاوى ٢٧/٧.

بسهولة واستقامة بحيث تكون على نسق واحد بما يعين على فهم المعنى <sup>(١)</sup>. وقد حثَّ الله على ترتيله فقال تعالى:

﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ {المزمل: ٤}، قال ابن كثير (ت ٧٧٤هـ): "أي: اقرأه على تمهل، فإنه يكون عوناً على

فهم القرآن وتدبره" <sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلاً﴾ {الإسراء:

١٠٦}.

قال الحصص (ت ٣٧٠هـ): "فرقناه بالبيان عن الحق من الباطل، وقوله: "لتقرأه على الناس على مكث"

، يعني على تثبت وتوقف ليفهموه بالتأمل ويعلموا ما فيه بالتفكر، ويتفقهوا باستخراج ما تضمن من الحكم والعلوم الشريفة" <sup>(٣)</sup>.

وقال الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ): "أي على ترسل وتمهل في التلاوة، فإن ذلك أقرب إلى الفهم وأسهل

للحفظ" <sup>(٤)</sup>.

والتمهل في قراءة القرآن أدعى للفهم والتدبر، وهذه صفة قراءة النبي ﷺ والصحابة -رضوان الله عليهم-

فعن حذيفة رضي الله عنه قال: "صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة ثم مضى، فقلت:

يصلي بها في ركعة، فمضى فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً إذا

مرَّ بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوذ تعوَّذ، ثم ركع فجعل يقول: سبحان ربي العظيم،

فكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم قال: سمع الله لمن حمده، ثم قام طويلاً قريباً مما ركع، ثم سجد فقال: سبحان ربي

الأعلى، فكان سجوده قريباً من قيامه، (قال) وفي حديث جرير من الزيادة فقال: سمع الله لمن حمده ربنا لك

الحمد" <sup>(٥)</sup>. هكذا كانت قراءة رسول الله ﷺ وقراءة تدبر ونظر وتفكر.

قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- (ت ١٤٢١هـ): "فجمع عليه الصلاة والسلام بين القراءة وبين الذكر

وبين الدعاء وبين التفكير؛ لأن الذي يسأل عند السؤال، ويتعوذ عند التعوذ، ويسبح عند التسبيح، لا شك أنه

يتأمل قراءته ويتفكر فيها، فيكون هذا القيام روضة من رياض الذكر، قراءة وتسبيحاً ودعاءً وتفكيراً، والنبي عليه

الصلاة والسلام في هذا كله" <sup>(٦)</sup>.

وعن أم سلمة -رضي الله عنها- أنها سئلت عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت: "كان يقطع قراءته آية آية ﷺ

(١) تاج العروس ٣٢/٢٩، نقل بتصريف.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ٢٥٠/٨.

(٣) أحكام القرآن، ٣٥/٥.

(٤) فتح القدير، للشوكاني ٢٦٤/٣.

(٥) صحيح مسلم، ٥٣٦/١ ح (٧٧٢).

(٦) شرح رياض الصالحين، ٩٣/٢.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿الفاتحة: ١-٤﴾<sup>(١)</sup>.

وفي لفظ: " ثم نعتت قراءته، فإذا هي تنعت قراءة مُفسّرة حرفاً<sup>(٢)</sup> ".

وعن حفصة - رضي الله عنها - أنها قالت: " ما رأيت رسول الله ﷺ صلى في سُبحته<sup>(٣)</sup> قاعداً حتى كان قبل وفاته بعام، فكان يصلي في سُبحته قاعداً وكان يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها<sup>(٤)</sup> ".  
فإذا كان هذا الترتيل والتوقف مع كل آية من جانب الرسول ﷺ ، والصحابة - رضوان الله عليهم - ،  
فحري بالأمة اليوم أن تقتدي بهم.

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: " تعلم عمر بن الخطاب ؓ البقرة في اثني عشرة سنة، فلما أتمها نحر جزوراً<sup>(٥)</sup> ". وهذه المدة الطويلة التي استغرقها في الحفظ ليس عجزاً من عمر ؓ ولا انشغالاً عن القرآن ؛  
ولكن تدل على مدى التدبر والتفكير لما في السورة من أحكام وواجبات ونواه.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ؓ ، قال: قال رسول الله ﷺ : ( لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث<sup>(٦)</sup> ). وهذا يدل على أن الثلاث هي الحد الأدنى ، وأنه لا ينقص عنها ، وأنه من نقص عنها فإنه لا يفقه القرآن ولا يتدبره ؛ لأن ذلك لا يتأتى بسرعة شديدة.

وهذه القراءة المرتلة تحتاج إلى حضور القلب ؛ لأنه أدعى للانتفاع ، قال ابن القيم (ت ٧٥١هـ) : " إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه وألق سمعك ، واحضر حضور من يخاطبه من تكلم به سبحانه منه إليه ، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله ﷺ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ {ق: ٣٧}. وذلك أن تمام التأثير لما كان موقوفاً على مؤثر مقتضى ، ومحل قابل، وشرط لحصول الأثر وانتفاء المانع الذي يمنع منه ، تضمنت الآية بيان ذلك كله بأوجز لفظ وأبينه،

---

(١) مسند أحمد ٣٠٢/٦ ح (٢٢٦٥٢)، سنن أبي داود ٤٣٣/٢ ح (٤٠٠١)، مستدرک الحاكم ٢/٢٥٢ ح (٢٩١٠)، أخرجه الجميع من طرق عن ابن جريج، عن عبد الله بن أبي مليكة، عن أم سلمة، وقال الحاكم: " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، و له شاهد بإسناد صحيح عن أبي هريرة. قلت: وله شاهد في البخاري من حديث أنس رضي الله عنه رقم (٤٧٥٩).

(٢) سنن الترمذي ١٨٢/٥ ح (٢٩٢٣) أخرجه من طريق ابن أبي مليكة، عن يعلى بن مملك، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) سبحته : أي نافلته ، تحفة الأخوذي بشرح جامع الترمذي ٣١١/٢.

(٤) صحيح مسلم ٥٠٧/١ ح (٧٣٣).

(٥) شعب الإيمان، للبيهقي ٣٣١/٢ رقم (١٩٥٧) ، أخرجه من طريق مالك بن أنس، عن نافع. وإسناده صحيح.

(٦) سنن أبي داود ٤٤٣/١ ح (١٣٩٤)، سنن الدارمي ٤١٨/١ ح (١٤٩٣)، صحيح ابن حبان ٣/٣٥ ح (٧٥٨)، الجميع أخرجه من طرق عن قتادة، عن أبي العلاء يزيد بن عبد الله، وصححه الألباني في ( صحيح سنن أبي داود ١٣٨/٥).



وأدله على المراد "(١)".

وقال ابن مسعود رضي الله عنه في وصف القراءة التي ينبغي أن يكون عليها المؤمن: " لا تَنْشُرُوهُ نَشْرَ الدُّقْلِ (٢)، وَلَا تَهْذُوهُ هَذَّ الشَّعْرِ ، قِفُوا عِنْدَ عَجَائِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلَا يَكُنْ هُمْ أَحَدُكُمْ آخِرَ السُّورَةِ" (٣).

#### ٥- تحسين الصوت والتغني بالقرآن:

وهو من أفضل الوسائل المعينة على التدبر والتأمل، ولهذا يجد الإنسان من نفسه حُب سماع القرآن حين يقرأ به القارئ الماهر ذي الصوت الحسن ، وقد وقف النبي صلى الله عليه وسلم مرة يستمع لقراءة أبي موسى رضي الله عنه وقال: ( لو رأيته وأنا أستمع لقراءتك البارحة ، لقد أوتيت مزامراً من مزامير آل داود ) (٤)، قال أبو موسى : "لو كنت أعلمتني لحبّرتُ ذلك تحبيراً" (٥).

فالصوت الحسن له أثر كبير في تدبر كلام الله -تعالى- ، وقد حثَّ النبي صلى الله عليه وسلم على تزيين الصوت عند قراءة القرآن، فقال صلى الله عليه وسلم: ( زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ ) (٦) وقال صلى الله عليه وسلم: ( ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن ) (٧).

قال النووي (ت ٦٧٦هـ): " أجمع العلماء رضي الله عنهم من السلف والخلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء الأمصار أئمة المسلمين على استحباب تحسين الصوت بالقرآن، وأقوالهم وأفعالهم مشهورة نهاية الشهرة، فنحن مستغنون عن نقل شيء من أفرادها، ودلائل هذا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ مستفيضة عند الخاصة والعامة" (٨).

وقال ابن كثير (ت ٧٧٤هـ): " قد فهم من هذا أن السلف رضي الله عنهم إنما فهموا من التغني بالقرآن: إنما هو تحسين الصوت به، وتخزينه، كما قاله الأئمة، -رحمهم الله- " (٩)، وقال: " والمراد من تحسين الصوت بالقرآن: تطريبه

---

(١) الفوائد ص (٣).

(٢) الدقل: هو زديء التمر ويابسُه وما ليس له اسم خاص فتراه ليُبسه وركاءته لا يجتمع ويكون منثوراً، النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٢/٢٩٩.

(٣) أخلاق حملة القرآن ٤/١ ح (٢)، أخرجه من طريق أبي جمره عن إبراهيم، عن علقمة، وإسناده صحيح.

(٤) صحيح مسلم ٥٤٦/١ ح (٧٩٣).

(٥) سنن النسائي الكبرى ٢٣/٥ ح (٨٠٥٨).

(٦) مسند الإمام أحمد ٢٨٣/٤ ح (١٨٥١٧)، سنن الدارمي ٥٦٥/٢ ح (٣٥٠٠)، سنن أبي داود ٤٦٤/١ ح (١٤٦٨)، سنن

النسائي الكبرى ٣٤٨/١ ح (١٠٨٨)، سنن ابن ماجه ٤٢٦/١ ح (١٣٤٢)، صحيح ابن خزيمة ٢٤/٣ ح (١٥٥١)، صحيح ابن حبان

٥٢/٣ ح (٧٤٩)، مستدرک الحاكم ٧٦٢/١ ح (٢١٠١) الجميع أخرجه من طرق عن منصور، عن طلحة الياحي عن عبد

الرحمن بن عوسجة، عن البراء بن عازب، وصححه الألباني (في صحيح سنن أبي داود ٢٠٨/٥ ح (١٣٢٠).

(٧) صحيح البخاري ٢٧٣٧/٦ ح (٧٠٨٧)، صحيح مسلم ٥٤٥/١ ح (٧٩٢) أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٨) التبيان في آداب حملة القرآن، ص (١٠٩).

(٩) تفسير القرآن العظيم ٦٢/١.

وتحزينه والتخشع به" (١).

ولذا ينبغي لمن رزقه الله حسن الصوت بالقرآن أن يعلم أن الله ﷻ قد خصّه بخير عظيم، فليجعل مراده حين يقرأ للناس أن ينتبه أهل الغفلة من غفلتهم ، فيرغبوا فيما أمرهم الله ﷻ ، وينتهوا عما نهاهم، وبهذا ينتفع بحسن صوته وينتفع الناس به.

## ٦- حب القرآن واستشعار عظمته:

فمن المعلوم أن القلب إذا أحب شيئاً تعلق به، واشتاق إليه، وشغف به، وانقطع عما سواه، واجتمع على فهمه ووعيه، فيحصل بذلك التدبر والفهم العميق، وبالعكس إذا لم يوجد الحب فإن إقبال القلب على القرآن يكون صعباً، وانقياده إليه يكون شاقاً لا يحصل إلا بالمجاهدة والمغالبة، وعليه فتحصيل حب القرآن من أنفع الأسباب لحصول أقوى وأعلى مستويات التدبر، وخير الأسباب وأنفعها لحب القرآن هو القراءة عن عظمة القرآن مما ورد في القرآن والسنة وأقوال السلف في تعظيمهم للقرآن وحبهم له.

## ٧- التواضع واللين لتدبر القرآن وفهم معانيه وأخذها ودراستها:

أخذنا هذا المعنى عندما ذكر الله اليهود والنصارى بقوله: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ {المائدة: ٨٢-٨٣}، فقد وصف النصارى بأن منهم قسيسين ورهباناً، وأنهم لا يستكبرون عن قبول الحق، وإذا سمعوا القرآن فاضت أعينهم بالدمع، قال ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) : "تضمن وصفهم بأن فيهم العلم والعبادة والتواضع، ثم وصفهم بالانقياد للحق واتباعه والإنصاف" (٢).

وقال السعدي (ت ١٣٧٦هـ) : " ليس فيهم تكبر ولا عتو عن الانقياد للحق ؛ وذلك موجب لقرهم من المسلمين ومن محبتهم، فإن المتواضع أقرب إلى الخير من المستكبر" (٣).

فالتواضع والإقرار بالحق عند ظهوره من الأشياء المعينة على تدبر القرآن ، ولذلك ينبغي للمؤمن أن يكون متواضعاً، يرجع إلى الحق إذا ظهر له، وإذا ذكر بالقرآن تذكر، وقد أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بقوله: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ {ق: ٤٥}؛ لأن بعض الناس تأخذه العزة بالإثم إذا ذُكِّرَ بالقرآن، فيحول بينه وبين فهمه،

(١) المصدر السابق ٦٣/١.

(٢) تفسير القرآن العظيم ١٦٨/٣.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص (٢٤١).

قال تعالى : ﴿ سَاصِرُفٌ عَنْ ءَايَتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ {الأعراف: ١٤٦} ، وهذا مشاهد بأن المتكبر يحرم من بركة القرآن الكريم.

#### ٨- اختيار الوقت المناسب للقراءة:

ومن أفضل الأوقات وأنسبها وقت الليل ، قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ {الزمر: ٩} ، وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ {الإسراء: ٧٩} .

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال : ( يا أيها الناس اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه...) <sup>(١)</sup>. ولا يخفى ما في الحديث من تضمين لآتي النازعات: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴾ {النازعات: ٦-٧} ، وما في ذلك من تدبر عجيب لهذه الحقيقة الإيمانية في جوف الليل ؛ وذلك لشبه الليل بظلمة القبر من جهة، ولأن الليل - من جهة أخرى - هو موت لحركة النهار، وفي ذلك أيضا إشارة إلى أن على المؤمن أن يجعل تفكره في الظواهر الكونية مرتبطاً بتدبره للآيات القرآنية، بسبب ما ينتج عن ذلك من التشمير والجد والعمل، حيث تقع الآيات بعد ذلك على النفس الكسولة الغافلة، موقع السوط اللاهب على ظهر الدابة الخاملة، فتقفز مسرعة بصاحبها في الطريق إلى الله.

#### ٩- ترديد الآيات المقروءة والوقوف معها :

وهو من أهم الوسائل المعينة على سرعة الانتفاع بالقرآن، وتدبره، فبالترديد يتذوق المتدبر حلاوة القرآن ، ويزول عن القلب الغفلة - بإذن الله - ، وهو فعل الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم .

فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: " قام النبي ﷺ بآية حتى أصبح يرددها، والآية : ﴿ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ {المائدة: ١١٨} " <sup>(٢)</sup>.

فهذا رسول الله ﷺ يُقَدِّمُ التدبر على كثرة التلاوة، فيقرأ آية واحدة فقط في ليلة كاملة.

قال ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) : " هذا الكلام يتضمن ردّ المشيئة إلى الله ﻋَظِيمُ ، فإنه الفعال لما يشاء، الذي لا

(١) مسند أحمد ١٣٦/٥ ح ٢١٢٧٩، سنن الترمذي ٤/٦٣٦ ح ٢٤٥٧، المستدرک علی الصحیحین ٢/٥٥٨ ح ٣٨٩٤،

أخرجوه من طرق عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن الطفيل بن أبي بن كعب، عن أبيه، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح. وحسنه الألباني في الجامع الصغير ١/١٣٨٣ ح ١٨٣٢١.

(٢) مسند أحمد، ١٥٦/٥، سنن النسائي الكبرى، ٦/٣٣٩ ح ١١١٦١، المستدرک علی الصحیحین للحاکم ١/٣٦٧ ح ٨٧٩، سنن ابن ماجه ١/٤٢٩ ح ١٣٥٠، الجميع أخرجوه من طرق عن قدامة بن عبد الله، عن جسة بنت دجاجة، واللفظ لابن ماجه. وقال النووي: رواه النسائي وابن ماجه بإسناد حسن. خلاصة الأحكام ١/٥٩٥.

يُسأل عما يفعل وهم يسألون، ويتضمن التبري من النصارى الذين كذبوا على الله، وعلى رسوله، وجعلوا لله نداً وصاحبة وولداً، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وهذه الآية لها شأن عظيم ونبأ عجيب، وقد ورد في الحديث: أن رسول الله ﷺ قام بها ليلة حتى الصباح يرددّها" (١). وعلى هذا فإن تكرار القراءة للآية مراراً، وترديدّها وسيلة للوقوف على معانيها ومراميها.

وعن محمد بن كعب القرظي قال: "لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح بإذا زُلزلت، والقارعة، لا أزيد عليهما وأتردد فيهما وأفكر أحب إلي من أن أهد القرآن ليلتي هذا" أو قال أنثره نثراً" (٢).  
وعن أبي جمره قال: قلت لابن عباس: إني سريع القراءة إني أهد القرآن، فقال ابن عباس: "لأن أقرأ سورة البقرة فأرتلها أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله هزيمة" (٣) " (٤).

وعن عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير قال: "دخلت على أسماء وهي تقرأ: ﴿فَمَرَّبَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ {الطور: ٢٧} قال: فوقفت عليها فجعلت تستعيد وتدعو، قال عباد: فذهبت إلى السوق فقضيت حاجتي ثم رجعت وهي فيها بعد تستعيد وتدعو" (٥).  
قال ابن قدامة (ت ٧٤٢هـ): "وليعلم القارئ أن ما يقرؤه ليس من كلام بشر، وأن يستحضر عظمة المتكلم سبحانه ويتدبر كلامه، فإن التدبر هو المقصود من القراءة، وإن لم يحصل التدبر إلا بترديد الآية فليرددّها" (٦).

وقال ابن القيم (ت ٧٥١هـ): "فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأه بتفكير حتى إذا مرَّ بآية وهو يحتاج إليها في شفاء قلبه كرّرها، ولو مائة مرة ولو ليلة، فقراءة آية بتفكير وتفهم خير من قراءة ختمه بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب، وأدعى إلى حصول الإيمان، وذوق حلاوة القرآن" (٧).

(١) تفسير القرآن العظيم ٢٣٣/٣ - ٢٣٤.

(٢) مصنف بن أبي شيبة ٢٥٦/٢ رقم (٨٧٣٢)، أخرجه من طريق وكيع، قال: حدثنا عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب، عن محمد بن كعب القرظي، وإسناده ضعيف، لضعف عبيد الله بن عبد الرحمن، تقريب التهذيب ص (٣٧٣).

(٣) هزيمة: أي بسرعة، النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/٥٨٢.

(٤) مصنف عبد الرزاق، ٤٨٩/ح (٤١٨٧)، سنن البيهقي ٥٤/٢ ح (٢٢٥٨)، أخرجاه من طرق عن يزيد بن هارون، أنبأ حماد، عن أبي جمره وإسناده صحيح، رجاله ثقات.

(٥) مصنف بن أبي شيبة ٢٥/٢ رقم (٦٠٣٧) أخرجه من طريق هشام بن عروة، عن عبد الوهاب بن يحيى، وإسناده حسن، فيه (عبد الوهاب بن يحيى بن عباد، قال ابن حجر: مقبول، تقريب التهذيب ص (٣٦٨).

(٦) مختصر منهاج القاصدين، ص (٦٠).

(٧) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ١/١٨٧.

## ١٠ - الابتعاد عن مجالس اللغو:

وهو أدعى لتدبر القرآن ، ولهذا لما أدرك المشركون خطورة القرآن وأثره على الناس ، قالوا كما أخبر عنهم العليم الخبير: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ { فصلت: ٢٦ } ، قال ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) : " قال مجاهد : { وَالْغَوْا فِيهِ } يعني: بالملكاء والصغير والتخليط في المنطق على رسول الله ﷺ إذا قرأ القرآن قريش تفعله، وقال الضحاك، عن ابن عباس : ﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾ عيبوه ، وقال قتادة: " اجدوا به ، وأنكروه وعادوه ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ ، هذا حال هؤلاء الجهلة من الكفار، ومن سلك مسلكهم عند سماع القرآن ط<sup>(١)</sup> .

وقال السعدي (ت ١٣٧٦هـ) : " أي: أعرضوا عنه بأسماعكم، وإياكم أن تلتفتوا، أو تصغوا إليه ولا إلى من جاء به ، فإن اتفق أنكم سمعتموه ، أو سمعتم الدعوة إلى أحكامه ، ف { الْغَوْا فِيهِ } أي: تكلموا بالكلام الذي لا فائدة فيه، بل فيه المضرة، ولا تمكنوا -مع قدرتكم- أحداً يملك عليكم الكلام به، وتلاوة ألفاظه ومعانيه، هذا لسان حالهم، ولسان مقالهم، في الإعراض عن هذا القرآن، ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ إن فعلتم ذلك ﴿تَعْلَبُونَ﴾ " <sup>(٢)</sup>

## ١١ - صرف القلب عن موانع التدبر ، ومنها:

أ- الابتعاد عن الذنوب والمعاصي :

فالمعاصي كلها أضرار في الدين والدنيا، وهي من أكبر أسباب الطبع على القلب ، قال تعالى : ﴿كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ {المطففين: ١٤} ، قال الحسن، ومجاهد: "الران: هو الذنب على الذنب حتى تحيط الذنوب بالقلب وتغشاه فيموت القلب" <sup>(٣)</sup> ، وقال تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ {الحج: ٤٦} قال السعدي (ت ١٣٧٦هـ) : " أي: هذا العمى الضار في الدين، عمى القلب عن الحق، حتى لا يشاهده كما لا يشاهد الأعمى المرثيات " <sup>(٤)</sup> .

وصاحب القلب المريض بالمعاصي أبعد الناس عن تدبر القرآن ؛ لأنه حُجب عن طريق العلم وهي التقوى

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ {البقرة: ٢٨٢} ، فالتدبر في كتاب الله وتفهمه علم من

(١) تفسير القرآن العظيم ١٧٤/٧ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص (٧٤٨) .

(٣) مفاتيح الغيب ٨٦/٣١ .

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص (٥٤٠) .

الله ﷻ ، ولا يُنال العلم بمعصية الله ؛ لأن حقيقة العلم نور يقذفه الله في القلب، والذنوب والمعاصي سبب الحرمان من هذا العلم.

وقال الزركشي (ت ٧٩٤هـ): "واعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي حقيقة، ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة، وفي قلبه بدعة، أو إصرار على ذنب، أو في قلبه كبر، أو هوى، أو حب الدنيا، أو يكون غير متحقق بالإيمان"<sup>(١)</sup>.

ب- الغفلة عن سماع القرآن ، قال تعالى: ﴿ اقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرِ مِّن رَّبِّهِمْ تُحَدِّثُ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ لَأِهْبَةَ قُلُوبِهِمْ ﴾ {الأنبياء: ١-٣}، فلو تأملنا الآية لوجدنا أن أعظم مانع من تدبر القرآن هو الغفلة ، فالقلب الغافل بسبب اللهو والانشغال بالدنيا لا يتدبر، فصاحب هذا القلب يستمع القرآن بأذنه، ولا يصل إلى قلبه ؛ لأن حضور القلب وصفاءه يجعل صاحبه يرى معاني القرآن بوضوح ، ويجيا بها عملاً وسلوكاً ودعوة وتربية .

ج- الابتعاد عن الحسد، والحقد، والرياء، وحب الظهور، وسوء الظن، والكبر، والعجب ، والتكبر عن قبول الحق، والإصغاء إليه، لقوله تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ {الأعراف: ١٤٦} ، فيجب على الإنسان أن يبتعد عن هذه الأمراض ؛ لأنها تمنع القلب من تدبر القرآن، كما يجب عليه أن يبتعد عن ظلم الآخرين ، والوقوع في الحرام ، وأن يكون ماله حلالاً حتى يحقق التدبر، وأن يكون صادقاً مع الله بحيث يرزقه الله التدبر والتأمل ، الأمر الذي يزيد في إيمانه ويقينه، ويحقق له السعادة والرضا<sup>(٢)</sup>.

## ١٢- الاهتمام باللغة العربية:

فالقرآن الكريم نزل بها، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ {يوسف: ٢}، وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ {طه: ١١٣}، ولقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - يقول : "اللغة العربية من الدين"<sup>(٣)</sup>. ويكون الاهتمام بها من حيث التحدث بها وتعليم الأولاد، والرجوع إلى معاجمها لمعرفة معاني الكلمات المشككة.

## ١٣- الرجوع إلى كتب التفسير المعتمدة:

وذلك لمعرفة المعنى الإجمالي للآيات ، دون ضرورة الوقوف على التفاصيل والخوض في المطولات والشروح

(١) البرهان في علوم القرآن، ٢/ ١٨٠.

(٢) عدم تدبر القرآن د. ناصر العمر، موقع بصائر على الانترنت [www.basaer-online.com](http://www.basaer-online.com)

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ١١/ ٥٣.

والروايات، فليس من شرط التدبر أن يكون تفصيلياً لكل كلمة، بل قد يكون التدبر بإدراك المعنى الإجمالي ، وعقل الكليات المراد بالآية، وهذا من أعظم أسباب تدبر القرآن الكريم ، فإن القرآن كثيراً ما يذكر في القصص مواطن العبرة، ويترك للفؤاد والعقل مطلق التأمل والتدبر ، فلا يكون هم القارئ أن ينتهي من السورة أو الجزء ، بل يكون همه الأول فهم المعاني وتدبرها<sup>(١)</sup>.

#### ١٤-دراسة سيرة رسول الله ﷺ:

فمن المعروف أنه ﷺ كان الترجمان الحقيقي للقرآن، وأنه كان خُلُقُه القرآن ، وأنه كان قرآناً يمشي ، فهو المبين لمجمله، والموضح لمشكله، وإذا كان الأمر كذلك، فإن تدبر القرآن وفهمه لا يتأتى إلا بالرجوع إلى ما ثبت من سيرته ﷺ وما صحَّ من سنته .

#### ١٥- ربط القرآن بالواقع:

وذلك بالتفاعل مع كل آية، واستشعار القارئ للقرآن أو المستمع له أنه المقصود بالخطاب، وأن كل خطاب في القرآن مُوجَّه إليه، وذلك بالنظر في المواعظ التي يذكرها، والقصص التي يحكيها، وكيف أن الله أهلك أمماً كثيرة لما كذبوا وأعرضوا، وأن هذا المصير ينتظر كل من أعرض عن الله، وكفر برسله، مهما كانوا في قوة وعزة ، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما قال المفسرون ، وهي قاعدة مهمة، حيث إن ما كان سبباً في نزول بعض آيات القرآن الكريم لا يقتصر على الحادثة فقط ، إنما تقاس عليها كل الحوادث المشابهة .

قال ابن قدامة (ت٧٤٢هـ) : " وينبغي لتالي القرآن أن يعلم أنه المقصود بخطاب القرآن ووعيده، وأن القصص لم يُرد بها السمر بل العبر"<sup>(٢)</sup>.

ولقد كان الصحابة -رضوان الله عليهم- خير مثال للمؤمنين ، فحينما يقرؤون القرآن ، كانوا يستعملون فيه ذهنهم وفهمهم ، ويدركون أنهم المقصودون بالخطاب، وإن وقفةً مع بعض أحوالهم يتبين بها ما كانوا عليه من حسن التعامل مع هذا القرآن . فمن ذلك ما جاء :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ {الأنعام: ٨٢}، شقَّ ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا : أينما لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: ( ليس كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه : ﴿يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّكَ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ) {لقمان: ١٣}<sup>(٣)</sup>. ففهم الصحابة أنهم هم المعنيون، فشكوا إلى النبي ﷺ فبين لهم أن الظلم المراد به في الآية هو الشرك ، فهان الأمر عليهم.

(١) تدبر القرآن بين النظرية والتطبيق، د. رقية طاهر جابر العلواني ص (٥٦).نقل بتصرف.

(٢) مختصر منهاج القاصدين ص(٦١).

(٣) صحيح البخاري ٦/٢٥٤٢ ح(٦٥٣٨).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "إذا سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فأرعبها سمعك ، فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه"<sup>(١)</sup>. وهذا لكونهم أخذوا القرآن للتلقي والعمل، وأن كل ما فيه خطاب لكل من سمعه خطاب لكل من بلغه، وليس المخاطب فيه قوم دون آخرين.

وعن بجز بن حكيم قال: "أَمَّا زُرَّارَةُ بْنُ أَوْفَى فِي مَسْجِدِ بَنِي قَشِيرٍ فَقَرَأَ الْمَدْثَرَ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ ﴿فَإِذَا تُقَرَأُ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ {المدثر: ٨-٩} خَرَّ مَيْتًا، قَالَ بَجَزُ: وَكُنْتُ فِيْمَنْ حَمَلَهُ"<sup>(٢)</sup>

### المبحث الرابع : ثمار التدبر:

يُعدُّ التدبر مفتاح كل خيرٍ وصلاحٍ سواءً في حياة الأفراد أو المجتمعات، وهو سبيل للارتقاء بجميع نواحي الحياة، ولقد بيّن القرآن الكريم الثمرات التي نحصل عليها في التدبر، وهي على نوعين:

أولاً: ثمار مباشرة، ومنها:

#### ١ - معرفة الله - تعالى - وتعظيمه:

إِنَّ مَنْ اِمْتَلَأَ قَلْبُهُ مَعْرِفَةً بِاللَّهِ وَتَعْظِيماً لَهُ، عَظَّمَ كَلَامَهُ، وَتَمَعَّنَ فِيهِ، وَأَصْغَى إِلَيْهِ مُتَأَمِّلاً مُتَدَبِّراً، وَمَنْ تَمَّ أَخْبَرُ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَا يَنْتَفِعُونَ بِهَذَا الْكِتَابِ الْكَرِيمِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ {فاطر: ٢٢}. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "عَمِيت قُلُوبُهُمْ عَنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ وَشِدَّةِ بَطْشِهِ"<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ الطَّبْرِيُّ (ت ٣١٠ هـ): "كَمَا لَا يَقْدِرُ أَنْ يَسْمَعَ مَنْ فِي الْقُبُورِ كِتَابَ اللَّهِ فِيَهْدِيهِمْ بِهِ إِلَى سَبِيلِ الرِّشَادِ، فَكَذَلِكَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَنْفَعَ بِمَوَاعِظِ اللَّهِ وَبَيَانِ حُجْجِهِ مَنْ كَانَ مَيِّتَ الْقَلْبِ مِنْ أَحْيَاءِ عِبَادِهِ عَنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَفَهْمِ كِتَابِهِ وَتَنْزِيلِهِ، وَوَضَحِ حُجْجِهِ"<sup>(٤)</sup>، وَبَيَّنَّ سُبْحَانَهُ كَذَلِكَ أَنَّ سَبَبَ تَكْذِيبِ الْمُشْرِكِينَ هُوَ عَدَمُ مَعْرِفَتِهِمْ لِلَّهِ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ {الأعراف: ٦٤}.

وَلَا شَكَّ أَنَّ تَعْظِيمَ الْقُرْآنِ مِنْ تَعْظِيمِ اللَّهِ -تعالى- ، فَكَمَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ عَظِيمٌ فِي ذَاتِهِ، فَإِنَّهُ عَظِيمٌ فِي صِفَاتِهِ وَمِنْهَا كَلَامُهُ الْقُرْآنِيُّ ، وَقَدْ سَمَّاهُ سُبْحَانَهُ بَرَهَانًا، وَنُورًا، وَهَدًى، وَفُرْقَانًا، وَشِفَاءً لَمَّا فِي الصَّدُورِ، فَعَظَمَهُ عِنْدَ

(١) تفسير القرآن العظيم ٤٨٧/٣.

(٢) سنن الترمذي ٣٠٦/٢ ح (٤٤٥)، مستدرک الحاكم ٥٥٠/٢ ح (٣٨٧١)، أخرجه من طرق عن غياث بن غياث بن المثني، حدثني بجز ابن حكيم، (واللفظ للحاكم)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) زاد المسير في علم التفسير ٢٢١/٣.

(٤) جامع البيان عن تأويل القرآن ٤٥٩/٢٠.



المؤمنين؛ لِيُعَظِّمُوا قدره ويفهموه، لينالوا شفاء قلوبهم<sup>(١)</sup>.

وقال الحارث المحاسبي (ت ٢٤٣ هـ): "فإذا عَظُمَ في صَدْرِكَ تعظيمُ المتكلم به، لم يكن عندك شيءٌ أرفعُ، ولا أشرفُ، ولا أنفعُ، ولا ألدُّ، ولا أحلى، من استماعِ كلامِ الله ﷻ، وفهمِ معاني قوله، تعظيماً وحبّاً له وإجلالاً؛ إذ كان تعالى قائله، فحبُّ القولِ على قَدَرِ حُبِّ قائله"<sup>(٢)</sup>.

وقال الشيخ السعدي (ت ١٣٧٦ هـ): "فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل"<sup>(٣)</sup>، وقال: "فهذه الغاية المقصودة من الخلق والأمر: معرفة الله وعبادته، فقام بذلك الموقفون من عباد الله الصالحين، وأعرض عن ذلك الظالمون المعرضون"<sup>(٤)</sup>.

## ٢- تحقق طمأنينة القلب :

وذلك أن المتدبر للقرآن يطمئن قلبه في أحواله ومآلاته كما تُبَيِّنُ هذه الآية: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ {الرعد: ٢٨}، والقلوب إذا فقهت مراد الله من آياته، سار أصحابها إليه باطمئنان وثبات، لا تزعزعه بدع المحدثين، ولا تأويلات الجاهلين، ولا فتن المضلين، قال ابن القيم (٧٥١ هـ): "فما تزال معانيه تصده عن اقتحام طرق البدع والأضاليل، وتبعثه على الازدياد من النعم بشكر ربه الجليل، وتبصره بحدود الحلال والحرام، وتوقفه عليها لئلا يتعدها فيقع في العناء الطويل، وتثبت قلبه عن الزيغ والميل عن الحق والتحويل، وتسهل عليه الأمور الصعاب والعقبات الشاقة غاية التسهيل، وتناديه كلما فترت عزماته ووهي في سيره، تَقَدَّمَ الركب وفاتك الدليل، فاللحاق اللحاق، والرحيل الرحيل، وتحذو به وتسير أمامه سير الدليل، وكلما خرج عليه كمين من كمائن العدو، أو قاطع من قطاع الطريق نادته: الحذر! الحذر!، فاعتصم بالله واستعن به وقل: حسبي الله ونعم الوكيل"<sup>(٥)</sup>.

## ٣- زيادة الإيمان بالله -تعالى- وخشيته:

إن المتدبر للقرآن يستشعر عظمة الله فيزداد إيماناً، كما يبيِّن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ {التوبة: ١٢٤}، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ {الأنفال: ٢}.

(١) فهم القرآن ومعانيه، للحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي ص(٢٨٢).

(٢) المصدر السابق ص (٣٠٢).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص(٨١٣).

(٤) المصدر السابق ص(٨٧٢).

(٥) مدارج السالكين ١/٣٦٩-٣٧٠.

فالآية الأولى صريحة في زيادة إيمان المؤمنين بسبب تأمل القرآن وتدبره وفهم معانيه ومقاصده، مما ينتج عنه الخوف والرجاء من الله ، والعمل بما يتضمن من أوامر ونواهٍ ، قال مجاهد ، والسدي: " (وجلّت قلوبهم): فرقت، أي: فرغت وخافت" <sup>(١)</sup>، وقال الربيع بن أنس: " (زادتهم إيماناً): زادتهم خشية" <sup>(٢)</sup>.

وقال ابن كثير (ت ٧٧٤هـ): "وهذه صفة المؤمن حق المؤمن ، الذي إذا ذكر الله وجل قلبه، أي: خاف منه، ففعل أوامره، وترك زواجره" <sup>(٣)</sup> ، فازدادوا إيماناً بسبب فهمهم لما في القرآن من أحكام ثم العمل بها، والرغبة في فعل الخير ، ثم مع ذلك مستبشرون، يبشّر بعضهم بعضاً بهذه المنّة العظيمة، من إنزال الآيات وفهمها، والعمل بها، مما يدل على أن صدورهم منشرحة، وقلوبهم مطمئنة، فيبادرون إلى العمل مع فرح واستبشار.

إن التدبر في القرآن له أثره في رقة النفوس وخشيتها من بارئها، ورجائها فيه، كما بيّن هذا قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣]، قال قتادة (ت ١١٨هـ): "هذا نعت أولياء الله ، نعتهم الله بأن تقشعر جلودهم، وتبكي أعينهم، وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله، ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم، إنما هذا في أهل البدع، وهذا من الشيطان" <sup>(٤)</sup>.

وقال ابن كثير (ت ٧٧٤هـ): "هذه صفة الأبرار، عند سماع كلام الجبار، المهيمن العزيز الغفار ؛ لما يفهمون منه من الوعد والوعيد، والتخويف والتهديد، تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف، ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ لما يرجون ويؤمنون من رحمته ولطفه، فهم مخالفون لغيرهم من الكفار" <sup>(٥)</sup>.

وقال الألوسي (١٢٧٠هـ): "والمعنى أنهم إذا سمعوا القرآن وقوارع آيات وعيده أصابتهم رهبة وخشية تقشعر منها جلودهم وإذا ذكروا رحمة الله -تعالى- عند سماع آيات وعده تعالى وألطفه تبدلت خشيتهم رجاء ورهبتهم رغبة" <sup>(٦)</sup>.

ولقد كان عليه الصلاة والسلام أكثر خشيةً وتدبراً للقرآن من غيره ، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: بَئْتُ عند خالتي ميمونة فتحدّث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة، ثم رقد، فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾

(١) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ١١/٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ١٦٥٦/٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١١/٤.

(٤) معالم التنزيل ١١٦/٧.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٩٤/٧.

(٦) روح المعاني ٢٣/٢٥٩.

﴿{آل عمران: ١٩٠}﴾ ، ثم قام فتوضاً واستن فصلى إحدى عشرة ركعة ثم أذن بلال فصلى ركعتين ثم خرج فصلى الصبح <sup>(١)</sup>، وهذا الحديث يدل على فضل النبي ﷺ وأثر القرآن في نفسه، وإكثاره من عبادة ربه، كما كان حال الصحابة -رضي الله عنهم أجمعين- ، أكثر خشية وخوفاً عند تلاوتهم للقرآن، فعن نافع قال: كان عبد الله بن عمر إذا قرأ هذه الآية ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ {الحديد: ١٦}، بكى حتى يغلبه البكاء <sup>(٢)</sup>.

وعن عروة بن الزبير قال: قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر: كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ يفعلون إذا قرئ عليهم القرآن؟ قالت: كانوا كما نعتهم الله ﷻ : تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم، قال: فقلت لها: إن ناساً اليوم إذا قرئ عليهم القرآن خرَّ أحدُهم مغشياً عليه، فقالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم <sup>(٣)</sup>. وقال عكرمة: سئلت أسماء بنت أبي بكر: هل كان أحد من السلف يُغشى عليه من الخوف؟، قالت: لا، ولكنهم كانوا ييكون <sup>(٤)</sup>.

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه مرَّ برجل من أهل العراق ساقطاً، فقال: " ما بال هذا؟ قالوا: إنه إذا قرئ عليه القرآن أو سمع ذكر الله سقط ، قال ابن عمر: إنا لنخشى الله وما نسقط <sup>(٥)</sup>. قال القرطبي (ت ٦٧١هـ): " الخوف إذا سكن القلب أوجب خشوعَ الظاهر، فلا يملك صاحبه دفعه فتراه مطرقاً متأدباً متذللاً، وقد كان السلف يجتهدون في ستر ما يظهر من ذلك، وأما المذموم فتكلفه والتباكي ومطأطأة الرأس كما يفعله الجهال ليُروا بعين البر والإجلال، وذلك خدع من الشيطان وتسويل من نفس الإنسان <sup>(٦)</sup>.

#### ٤ - شفاء لما في الصدور:

إذا تدبّر المؤمن القرآن زالت عنه الشبهات والشهوات التي ترد على الإنسان فتصرفه عن الطاعات، أو تهوي به في المعاصي والظلمات، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ {يونس: ٥٧}، قال ابن كثير (ت ٧٧٤هـ): " أي: من الشَّبه والشكوك، وهو إزالة ما فيها من رجس ودنس، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ أي: محصلٌ لها الهداية والرحمة من الله تعالى، وإنما ذلك للمؤمنين به

(١) صحيح البخاري ١٦٦٥/٤ ح (٤٢٩٣).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ١١٨ / ٧ ح (٣٤٦٤٧)، أخرجه من طريق عثمان بن واقد، عن نافع، وإسناده حسن ، فيه: عثمان

ابن واقد، قال ابن حجر: صدوق، تقريب التهذيب ص (٣٨٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٤٩/١٥،

(٤) زاد المسير في علم التفسير ١٧٧/٧.

(٥) أورده ابن بطلال في شرح صحيح البخاري ٢٨٢/١٠.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ٣٧٥/١.

والمصدقين الموقنين بما فيه" (١).

وقال تعالى: ﴿ وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ {الإسراء: ٨٢} (٢)، قال الطبري (ت ٣١٠هـ) : "يقول تعالى ذكره : ونزل عليك يا محمد من القرآن ما هو شفاء يُستشفى به من الجهل من الضلالة، ويُبصر به من العمى للمؤمنين ورحمة لهم دون الكافرين به ؛ لأن المؤمنين يعملون بما فيه من فرائض الله، ويُحلون حلاله، ويحرمون حرامه فيدخلهم بذلك الجنة، ويُنجيهم من عذابه، فهو لهم رحمة ونعمة من الله، أنعم بها عليهم" (٣).

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ {فصلت: ٤٤}، فالقرآن يهدي المؤمنين إلى العلم الصحيح، الذي يشمر لهم العلم النافع، ويدفع عنهم أمراض القلوب والأبدان، فلا يكون في قلوبهم شك ولا ريب ؛ لأنهم فهموا مراد الله، وعرفوا مقصوده ، فاندفعت عنهم الأخلاق السيئة، والأعمال القبيحة.

#### ٥- الامتثال لما في القرآن والعمل به :

فالمؤمن لا يقف عند مجرد السماع والتأثر ، بل يتعدى ذلك إلى العمل والاستجابة لله ورسوله ﷺ، وهذا أصلٌ عظيم من أصول التدبير، وإلا فقد ذمَّ الله اليهود الذين يزعمون أنهم آمنوا بالكتاب، والحال أنهم لا يعملون به، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَوْفِنَا بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُوا بِمَا وَرَّاءَهُ. وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقُولُونَ أُنْيَاءَ ۖ إِنَّ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ {البقرة: ٩١}.

قال السعدي (ت ١٣٧٦هـ) : " وإذا أمر اليهود بالإيمان بما أنزل الله على رسوله، وهو القرآن استكبروا وعتوا، و﴿ قَالُوا تَوْفِنَا بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُوا بِمَا وَرَّاءَهُ ﴾ أي: بما سواه من الكتب، مع أن الواجب أن يؤمن بما أنزل الله مطلقا، سواء أنزل عليهم، أو على غيرهم، وهذا هو الإيمان النافع، الإيمان بما أنزل الله على جميع رسل الله " (٤).

وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ {البقرة: ١٠١}، أي لما جاءهم هذا الرسول

(١) المصدر السابق ٢٧٤/٤.

(٢) تعليم تدبر القرآن الكريم د. هاشم الأهدل ص (٢٣).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن ٥٣٨/١٧.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص(٥٩).

الكريم بالكتاب العظيم بالحق الموافق لما معهم، وكانوا يزعمون أنهم متمسكون بكتابتهم، فلما كفروا بهذا الرسول وبما جاء به، ﴿بَدَّ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ الذي أنزل إليهم أي: طرحوه رغبة عنه ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾، وهذا أبلغ في الإعراض كأثمهم في فعلهم هذا من الجاهلين وهم يعلمون صدقه، وحقيقة ما جاء به<sup>(١)</sup>.

أما السلف الصالح فقد امتثلوا لأوامر القرآن واجتنبوا نواهيه، اقتداءً بالنبي ﷺ الذي تحلى بأخلاق القرآن، فعن سعد بن هشام بن عامر قال: " سألت عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - فقلت: يا أم المؤمنين أنبئني عن خلق رسول الله ﷺ قالت: أأست تقرأ القرآن؟، قلت: بلى، قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن، قال: فهممت أن أقوم ولا أسأل أحداً عن شيء حتى أموت، ثم بدا لي فقلت: أنبئني عن قيام رسول الله ﷺ فقالت: أأست تقرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمِلُ﴾ {المزمل: ١}؟، قلت: بلى، قالت: فإن الله ﷻ افترض قيام الليل في أول هذه السورة فقام نبي الله ﷺ وأصحابه حولاً وأمسك الله خاتمها اثني عشر شهراً في السماء حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة...<sup>(٢)</sup>، فهذا الحديث دليل على منهج النبي ﷺ في التعامل مع القرآن، وهو التخلق بأخلاقه، والعمل بأوامره

وعن ابن مسعود ؓ قال: " كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن"<sup>(٣)</sup>.

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: " كان الفاضل من أصحاب رسول الله ﷺ في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة أو نحوها، ورزقوا العمل بالقرآن، وإن آخر هذه الأمة يقرؤون القرآن، منهم الصبي والأعمى ولا يرزقون العمل به"<sup>(٤)</sup>.

وفي هذا المعنى قال ابن مسعود ؓ: " إنا صعب علينا حفظ ألفاظ القرآن، وسهل علينا العمل به، وإن من بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن ويصعب عليهم العمل به"<sup>(٥)</sup>.

فهكذا كان منهج النبي ﷺ في تعليم الصحابة القرآن: تلازم العلم والمعنى والعمل، فلا علم جديد إلا بعد

(١) المصدر السابق ص(٦٠).

(٢) صحيح مسلم ٥١٢/١ ح (٧٤٦).

(٣) جامع البيان، للطبري ١٢٢/٢، أخرجه من طريق الحسين بن واقد، عن الأعمش، عن أبي وائل، وإسناده صحيح، وأخرجه الحاكم في مستدركه ٧٤٣/١ ح (٢٠٤٧)، والبيهقي في السنن الكبرى ١١٩/٣ ح (٥٠٧٢) من طريق شريك، عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بلفظ: " كنا إذا تعلمنا من النبي ﷺ عشر آيات من القرآن لم نتعلم من العشر الذي نزلت بعدها حتى نعلم ما فيه، قيل لشريك من العمل؟ قال: نعم " وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٤٠/١.

(٥) المصدر السابق ٤٠/١.

فهم السابق والعمل به.

## ٦- يحقق اليقين التام للنفس:

لأن القرآن كالماء العذب، والقلب كالشجرة التي لا تستطيع أن تعيش وتنمو إلا بهذا الماء، فالقلب كلما تفكّر في معاني كلام الله حصل له الريّ والشّبع والنمو والاستقرار والثبات والعلو، ولمّا علم الله حاجة القلب إلى مثل ذلك كرّر هذه المعاني الشريفة في كتابه، ونوع في بياها، وضرب لها الأمثال، وصرف فيها من أنواع القول ما يحصل به للقلوب المتدبرة حياة لا تموت معه أبداً.

قال الشيخ السعدي (ت ١٣٧٦هـ): "ومن فوائد التدبر لكتاب الله: وصول المتدبر إلى درجة اليقين، والعلم بأن القرآن كلام الله ؛ لأنه يراه يصدّق بعضه بعضاً، ويوافق بعضه بعضاً، فتري الحكم والقصة والإخبارات تعاد في القرآن في عدة مواضع، كلها متوافقة متصادقة، لا ينقض بعضها بعضاً، فبذلك يعلم كمال القرآن وأنه من عند من أحاط علمه بجميع الأمور، فلذلك قال تعالى : ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ {النساء: ٨٢} ، أي: فلما كان من عند الله لم يكن فيه اختلاف أصلاً"<sup>(١)</sup>.

## ٧- يحقق إنابة النفس لربها وتوبتها من معاصيها :

إن التدبر لآيات القرآن يفيد في إيقاظ الغافلين واللاهين عن الطريق السوي، ويردّهم إلى جادة الصواب، واتباع منهج الحق ، ومن ذلك ما روي من توبة الفضيل بن عياض ، قال ابن قدامة المقدسي (ت ٧٤٢هـ): "كان الفضيل يقطع الطريق وحده، فخرج ذات ليلة ليقطع الطريق، فإذا هو بقافلة قد انتهت إليه ليلاً، فقال بعضهم لبعض: اعدلوا بنا إلى هذه القرية فإن أماننا رجالاً يقطع الطريق يقال له: الفضيل، قال: فسمع الفضيل، فأرعد ، فقال: يا قوم أنا الفضيل جوزوا<sup>(٢)</sup>، والله لأجتهدن أن لا أعصي الله أبداً، فرجع عما كان عليه، وروي من طريق أخرى أنه أضافهم تلك الليلة وقال: أنتم آمنون من الفضيل، وخرج يرتاد لهم علفاً، ثم رجع فسمع قارئاً يقرأ : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ {الحديد: ١٦} ، قال: بلى والله قد آن، فكان هذا مبتدأ توبته"<sup>(٣)</sup>.

## ٨- الفوز بالخير الكثير :

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص (١٨٩).

(٢) جوزوا : جُرِثُ الطريق وجازَ الموضع ، سار فيه وسلكه، وأجازَه خلّفه وقطعه، لسان العرب ٣٢٦/٥.

(٣) التوابين، لابن قدامة المقدسي ص (٢٠٧-٢٠٨).

وهذا الخير يأتي بتدبر القرآن، قال ابن القيم: "فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته: من تدبر القرآن، وإطالة التأمل، وجمع الفكر على معاني آياته، فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذاقيرهما، وعلى طرقاتهما وأسبابهما وغاياتهما وثمراتهما، ومآل أهلتهما، وتتلُّ في يده-توضع في يده- مفاتيح كنوز السعادة والعلوم النافعة، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه، وتشيد بنيانه، وتوطد أركانه، وترية صورة الدنيا والآخرة والجنة والنار في قلبه، وتُخضره بين الأمم، وترية أيام الله فيهم وتبصره مواقع العبر، وتُشهدده عدل الله وفضله، وتُعرفه ذاته وأسماءه وصفاته وأفعاله وما يحبه وما يبغضه، وصراطه الموصل إليه، وما لسالكه بعد الوصول والقدوم عليه، وقواطع الطريق وآفاتهما، وتُعرفه النفس وصفاتها، ومفسدات الأعمال ومصححاتها، وتعرفه طريق أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم وأحوالهم وسيماهم، ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة، وأقسام الخلق واجتماعهم فيما يجتمعون فيه وافتراقهم فيما يفترون فيه" (١).

ثانياً: ثمار غير مباشرة، ومنها:

١- الحث على العلم والمعرفة التي تقود الإنسان في حياته العملية إلى الإبداع والكشف عن سنن وقوانين الكون، وتسخيرها لتنمية الحياة وإعمار الأرض؛ إذ أثنى الله على العلماء ورفع مقامهم، فقرنهم سبحانه وتعالى بذكره حينما قال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ {آل عمران: ١٨}، وقال سبحانه: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ {المجادلة: ١١}.

٢- ظهور مجتهدين في مختلف العلوم الشرعية المختلفة، ودليل ذلك ما أنتجوه من مؤلفات وموسوعات علمية هائلة قدّموها للأمم، ينم عن تفاعل إيجابي بين فهمهم لكتاب الله وإدراكهم لطبيعة الواقع الذي يعيشون فيه، مما جعل العالم الإسلامي آنذاك مصدراً لمختلف القيم الحضارية، كما ظهر علماء مسلمون في مختلف العلوم والفنون، كالكيمياء، والرياضيات، والطب، والفلك، والحساب، وغيرها من العلوم الكونية، والتي أسهمت إسهاماً فاعلاً في خدمة البشرية ورفقيها، وكان المؤمن المتدبر لكتاب الله هو أقدر على غيره من النظر العقلي في هذا الكون والتعرف على أسرارهِ، وتوظيف ذلك في خدمة الإنسانية جمعاء، وتوفير سبل أفضل للحياة الهائلة الكريمة (٢).

٣- تحريك العقل واستثارة طاقاته في كل وقت، وتنمية مهارات البحث التجريبي، وتأسيس العقلية المسلمة التي ترى أن التفكير في الكون والأنفس فريضة وعبادة يتقرب بها إلى الله ﷻ، فكثير من آيات القرآن دعت إلى النظر في حقيقة الوجود والكون، وآفاق النفس، قال تعالى: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ {

(١) مدارج السالكين ٣٦٣/٩

(٢) تدبر القرآن بين النظرية والتطبيق، د. رقية العلواني ص (١٩-٢٤) نقل بتصرف.

يونس: ١٠١}، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْفَكُّوْا فِي أَنْفُسِهِمْ<sup>ط</sup> مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى<sup>ط</sup>﴾ {الروم: ٨}، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ<sup>ط</sup> فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ<sup>ط</sup>﴾ {الأعراف: ١٨٥} (١).

٤- إيقاظ النفوس على ضرورة الخروج من فكر التبريرات وإلقاء اللوم على الآخرين إلى فكر النقد الذاتي الذي يجول في أرجاء النفس باحثاً عن أسباب التأخر محاولاً الخروج منها وعلاجها عوضاً عن غض الطرف عنها، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ<sup>ط</sup>﴾ {الروم: ٤١}.

### المبحث الخامس: واقعنا المعاصر وتدبر القرآن الكريم:

شهد واقعنا المعاصر ثورة علمية هائلة في مجال الدراسات القرآنية، وعلومها، وانتشرت "مدارس تحفيظ القرآن الكريم" في عموم البلاد الإسلامية، وتخرج في هذه المدارس سنوياً آلاف الحفاظ للقرآن كلياً أو جزئياً، غير أن كثيراً من هؤلاء لا يكادون يختلفون عن غيرهم من المسلمين، فلم يتميزوا بالفكر والتأمل والتدبر للقرآن، ولم يثقلوا ميزان الأمة الحضاري بالصورة المتوقعة والمطلوبة، الذي كان عليه سلفنا الصالح من تعاملهم مع القرآن؛ إذ عرفوا مكانته، فقرؤوه ورتلوه وتدبروه حق تدبره، كما وصفهم الله -تعالى-: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ<sup>ط</sup>﴾ {الأنفال: ٢}.

فالتدبر في آيات القرآن يعالج الجفاف الروحي لقارئ القرآن، هذا الداء الذي قد يعاني منه بعض حفاظ القرآن الكريم اليوم، فضلاً عن بقية المسلمين وعوام الناس الذين لا يحفظونه، وبعض الناس يقرؤونه لكنهم يشعرون بأنه لا يروي ظمأهم، فيعاملوا معه كوظيفة يومية، أو روتين دائم، فيقرؤونه وعيونهم على آخر الصفحة أو الجزء لينهوه، فإذا انتهى منه فرحوا لأنهم أدوا الواجب، دون أدنى فهم أو اعتبار لما حوته هذه الآيات من معانٍ وأحكام.

### وهذه الأسباب تعود إلى الآتي:

١- عدم فهم حقيقة القرآن الكريم، فالبعض يظن أن القرآن الكريم كتاب أنزل للقراءة فقط، ولهذا نجد البعض يتسابقون في قراءة الأجزاء والصفحات، فيختم أحدهم المصحف مرّات ومرّات في الشهر - خصوصاً في رمضان - دون أن يتدبر بآية واحدة، أو يعرف معنى من معانيه، أو يتمثل بسلوك من السلوكيات التي يدعو إليها

(١) تدبر القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، د رقية العلواني ص(١٨).



القرآن، ولهذا فهم سلفنا الصالح حقيقة القرآن، فكانوا خير القدوة لنا، قال أبو عبد الرحمن السلمي: "حدّثنا الذين كانوا يُقرئونا أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلّفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً"<sup>(١)</sup>.

بل إنّ السلف من الصّحابة قد حدّثوا من سوء فهم حقيقة القرآن ومكانته، فهذا ابن عمر - رضي الله عنهما يقول - : "لقد عشنا بُرْهة من دهرنا وإنّ أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ﷺ فيتعلّم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يوقف عنده، كما تُعلّمون أنتم القرآن، ثم قال: لقد رأيت رجلاً يؤتى أحدهم القرآن فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما أمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه، ينثره نثر الدقل"<sup>(٢)</sup>.

وقال الحسن البصري (ت ١١٠هـ) : " قد قرأ هذا القرآن عبید وصبيان لا علم لهم بتأويله، حفظوا حروفه وضيّعوا حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: والله لقد قرأت القرآن فما أسقطت منه حرفاً، وقد والله أسقطه كله، ما يرى للقرآن عليه أثر في خلق ولا عمل، والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، والله ما هؤلاء بالحكماء، ولا الوزعة"<sup>(٣)</sup>، لاكثر الله في الناس مثل هؤلاء"<sup>(٤)</sup>، وقال أيضاً: "نزل القرآن ليتدبّر ويُعمل به فاتخذوا تلاوته عملاً"<sup>(٥)</sup>.

٢- الخطأ في فهم مصطلح أهل القرآن، والتركيز على الأجر دون النظر لما جلبته القراءة من أثر وفائدة، فالبعض يرى أنّ الهدف هو القراءة ؛ لأنّ كثرة القراءة تجلب الحسنات بشكل أكبر ؛ ولهذا يقوم البعض بقراءة القرآن بشكل سريع دون نظر لمعنى أو مضمون ، أو لما يتضمنه من أحكام وفوائد، ويقوم الآخرون بالتركيز على الحفظ، وكأنهم يحفظون نصوصاً جامدة دون فهم ووعي، بل ويتفاخر البعض بحفظ القرآن كآيات يرددونها ويعيدونها، أو قد تصل بالبعض إلى أن يحفظوا القرآن بشكل عكسي، ناهيك عن إقامة المسابقات لحفظه وترتيله، لكن دون تركيز على ما استقر في الفرد من معاني وسلوك، وقيم وأخلاق.

ولا يفهم من الكلام أننا ضد الحفظ، وإقامة المسابقات على حفظه، وتكريم الحفاظ، بل هو أمر محمود،

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٨٠/١ ، أخرجه من طريق جرير، عن عطاء ، وهذا إسناد صحيح متصل، أبو عبد الرحمن السلمي، اسمه عبد الله بن حبيب، وهو ثقة ثبت، وقد صرح بأنه حدثه الذين كانوا يقرئونه، وأنهم "كانوا يستقرئون من النبي ﷺ" ، وإيهام الصحابي لا يضر، بل يكون حديثه مسنداً متصلاً.

(٢) المستدرک علی الصحیحین ٩١/١ ح (١٠١) ، السنن الكبرى للبيهقي ١٢٠/٣ ح (٥٠٧٣) أخرجه من طرق عن عبيد الله بن عمرو، عن زيد بن أبي أنيسة، عن القاسم بن عوف الشيباني، وإسناده حسن، فيه القاسم بن عوف.

قال ابن حجر: صدوق، تقريب التهذيب ص (٤٥١)، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين ولا أعرف له علة ولم يخرجاه. المستدرک ٩١/١.

(٣) وزعة: الوزعُ كَفُ النَّفْسِ عن هواها، والمراد : أي أعوانٍ يَكْفُوهُمْ عن التعدي والشرِّ والفسادِ، لسان العرب، ٣٩٠/٨.

(٤) الكشف ٩٢/٤.

(٥) مدارج السالكين ٤٨٥/١.

لكنَّ الخطأ أن نركّز على هذه المعاني دون أن ننزل القرآن المكانة التي أنزل لأجلها، وهو كونه كتاب هدى ونور، وتوجيه وتشريع، وتربية وتغيير للنفوس.

إنَّ الأمة لا تحتاج إلى نُسخ جديدة من القرآن المقروء، بل تحتاج إلى نُسخ حية من القرآن العملي التطبيقي، فهي تحتاج لأولئك الذين يتمثّلون بأخلاق القرآن، وينفّذون أوامره، ويتجنّبون نواهيه، وتظهر فيهم معالم الشخصية التي رسمها القرآن ؛ لأنَّهم سيكونون قادتها، وحاملين رايها الحقيقية، التي تنهض بها.

٣- الاشتغال بفروع العلم الشرعي المختلفة، ونسيان العودة للمنبع الأصلي لها، وعندها يخوض البعض بالخلافات، وفرّقوا الأمة في جزئيات فقهيه وعبارات مجتزأة ، دون فهم للأصول ، ومراعاة لمقاصد القرآن، فيصبح البعض يحفظ متوناً جامدة، دون تأثير أو تطبيق ؛ ولهذا قد نجد عند البعض ، كمّاً هائلاً من المعلومات الشرعية، لكن دون تطبيق ودون أن يتأثر بما يحوي أصل هذه المعلومات، حتى إذا قرأ القرآن، فإنه يفسّر آياته لما فيه خدمة لهواه ورأيه وحزبه، وهو ما يعني انحراف عن المقصد الأساس للقرآن الكريم.

٤- التقليد الخاطي، فالبعض اعتاد على أن يسمع القرآن فقط في مواسم العزاء، أو عند افتتاح الدروس والندوات والاحتفالات، ولهذا نظر إليه نظرة مادية، حتى إذا قرأه لم يفهمه ولم يتدبر ما يحويه ، بل والبعض يريد أن يقلّد القراء المشهورين، ومن رزقهم الله حُسن الصّوت، فيطغى عامل جمالية القراءة، والتغني في ترتيله، على مضمونه، فيركّز على تحسين الصّوت، دون أن ينظر إلى تهيئة القلب للتأثر به، أو النفس والعقل لفهم الأوامر والقيم التي ينادي بها.

### وعلى الرغم من خطورة هذه الأسباب إلّا أنّ هناك حلولاً تتمثل في الآتي:

١ - تصحيح منهج الخلل في تلقّي القرآن ، والتفاعل معه، إذ لو طُبّق المنهج النبوي لأحدثت هذه المدارس القرآنية ثورة تغييرية شاملة ونخضة حضارية كبرى ، ولأحسنّت الاستفادة من معطيات العصر والعلم، مثل الإعجاز العلمي الذي يمكن أن يصبح باباً عريضاً لاجتذاب الداخلين إلى الإسلام، ووسيلة فعالة لتقوية إيمان عامة المسلمين بالقرآن ومساعدتهم على فهمه وتنزيله على وقائع العصر.

٢- فهم حقيقة القرآن الكريم ، فهو كتاب إيمان وتوجيه، وتربية وتشريع، وليس كتاب قراءة فقط، أو كتاباً يوضع على الرفوف لا يفتح إلّا في رمضان، ولهذا لا بد للمرء أن يُعوّد نفسه على أن يقرأ القرآن ويتأثر به، فيتدبر آياته، ويستشعر معانيها، ويحاول أن يطبق كل خلق من الأخلاق، أو كل أمر من الأوامر الواردة فيه، ويتجنب كل أمر نهى عنه القرآن، وحذّر منه ؛ حتى يكون رانياً حقاً.

٣- الإكثار من قراءة القرآن وإطالة المكث في قراءته ، فلا يأتي التدبر بقراءته مرة أسبوعياً مثلاً، بل لا بد أن يكون هناك تواصل يومي مع القرآن، بحيث يزداد تعرض القلب والنفس لمعاني القرآن وأحكامه، فتصبح هذه الحالة مقاماً ثابتاً فيه، فيبقى التأثير تائراً دائماً، مما يؤدي لثورة داخل النفس البشرية، وتغيير في سلوكها وحالها.

٤- تهيئة الجو المناسب لقراءة القرآن ، فلا يصح التأثر والتدبر مع وجود عوامل أخرى، كوجود التلفاز، أو الجلوس بجانب ما يشغل المرء ويلهيه عن التفكير والتدبر، بل لا بد أن يكون هناك جو مناسب لإعمال العقل،

وتفعيل القلب ليتلقى الرسائل الإلهية بحيث تتفاعل نفسه معها، وفي نفس الوقت، لا بد وأن يعود نفسه ألا ينظر إلى نهاية الجزء أو نهاية الصفحة لينهي قراءته، بل يستمر بالقراءة، بغض النظر مهما قرأ، ويعيد القراءة عند تأثره بآية من الآيات، فهنا يكون القلب قد وجد المفتاح الضائع، ومن هنا يكون منبع التأثير والتغيير<sup>(١)</sup>.

### خاتمة البحث:

نحمد الله على ما يسر لي من تمام البحث الذي سألخص في خاتمته أبرز النقاط التي ناقشتها وذلك في الآتي:

١- إن مفهوم تدبر القرآن لا يقف عند مدلوله اللغوي وهو النظر فيما وراء الألفاظ من المعاني والدلالات، وإنما يشمل حضور القلب واستشعاره للآيات والتأمل فيها بقصد الانتفاع بها.

٢- إن أمر التدبر عام يشمل المنافقين والكفار، وعموم المسلمين الذين هم أهل الانتفاع فيكون واجباً في حقهم، كما صرحت الآية ﴿كَتَبْنَا إِلَيْكَ مَبْرُكًا لِيَذَبُوهَا إِنِّي أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِيَذَبُوهَا إِنِّي أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِيَذَبُوهَا﴾ {ص: ٢٩}.

٣- إن الغاية والقصد من نزول القرآن هو التدبر فيه والتفكير في معانيه؛ إذ أنه مفتاح للعلوم والمعارف، وحث للنفس نحو الخير، ولقد ركز سلفنا الصالح في تدبر القرآن على الجانب العملي، فعرفوا مقاصده ومراده واستنبطوا أحكامه، ووقفوا عند آياته، فحالمهم كما قال ابن عمر -رضي الله عنهما-: "رزقوا العمل بالقرآن"، وهذا ما تحتاج إلى تحقيقه الأمة اليوم، كما قال في آخر كلامه: "وإن آخر هذه الأمة يرزقون القرآن منهم الصبي والأعمى، ولا يرزقون العمل به"<sup>(٢)</sup>.

و مما ساعدهم على تدبره وسائل عديدة منها:

- ١- الدعاء، وهو أهم مفاتيح تدبر القرآن، فمهما بذل الإنسان من وسائل، فلن يظفر بممراده إذا لم يعنه مولاه -سبحانه-، وكذلك الاستعاذة الحقيقية من الشيطان الذي يلبس على القارئ قراءته ويخلط عليه، ويمنعه من التدبر والتفكير.
- ٢- إعمال وسائل الإدراك، ومنها: الاستماع للقرآن؛ لما له من تأثير عظيم في نفس المستمع، إذ كان سبباً في إسلام كثير من الكفار، بالإضافة إلى هداية الجن عند سماعهم له، وكذلك إعمال البصر بالنظر في آيات الله المشهودة وفي آياته المسطورة، وحضور القلب عند تلاوته لأنه موضع العقل والعلم وتلقي المعارف.
- ٣- التأني والتمهل في القراءة وتحسين الصوت؛ لأنهما من أفضل الوسائل المعينة على التدبر والتأمل.
- ٤- ترديد الآيات المؤثرة في القلب حتى ينتفع بها، مع صرفه عن موانع التدبر كالذنوب، والمعاصي، والحسد والحقد، والرياء وحب الظهور، وسوء الظن، والكبر والعجب، والتكبر عن قبول الحق، لما لها من أضرار تحيط به

(١) عدم تدبر القرآن موقع بصائر [www.basaer-online.com](http://www.basaer-online.com) نقل بتصرف.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٤٠/١.

فيصبح كأن عليه أفعال.

٥- التواضع واللين والإقرار بالحق عند ظهوره من الأشياء المعينة على تدبر القرآن، ولذلك ينبغي للمؤمن أن يكون متواضعاً، يرجع إلى الحق إذا ظهر له، وإذا ذكر بالقرآن تذكر.

٦- الابتعاد عن مجالس اللغو ؛ إذ أنه أدعى لتدبر القرآن ح ولهذا لما أدرك المشركون خطورة القرآن، وأثره على الناس جحدوه وأنكروه وعادوه، وهذا حال هؤلاء الجهلة من الكفار، ومن سلك مسلكهم.

٧- الاهتمام باللغة العربية ، من حيث التحدث بها، والرجوع إلى معاجمها لمعرفة معاني الكلمات المشككة، إضافة إلى ضرورة الرجوع إلى كتب التفسير المعتمدة لمعرفة المعنى الإجمالي للآيات، دون ضرورة الوقوف على التفاصيل والخوض في المطولات.

٨- ربط القرآن بالواقع المعاش ويكون بالتفاعل مع كل آية، واستشعار القارئ للقرآن أو المستمع له أنه المقصود بالخطاب.

وهذه الوسائل كان من ثمارها :

١- معرفة العبد لله وتعظيمه له؛ إذ أن مَنْ امتلأ قلبه معرفةً بالله، عَظَّمَ كلامه، وتمَعَّن فيه، وأصغى إليه متأملاً متدبراً.

٢- تحقق طمأنينة القلب، فكلما اطمأن قلب المتدبر ازداد إيماناً بالله وخوفاً وخشية منه تمنعه من ارتكاب الحرام، فيمثل لأوامره، ويجتنب نواهيه، فيصل بذلك كله إلى درجة اليقين والعلم بأن القرآن كلام الله؛ لأنه يراه يصدّق بعضه بعضاً، ويوافق بعضه بعضاً.

٣- إن التدبر شفاء لما في الصدور: فإذا تدبر المؤمن القرآن زالت عنه الشبهات والشهوات التي ترد عليه فتصرفه عن الطاعات، أو تهوي به في بحر المعاصي والظلمات .

٤- إيقاظ الغافلين واللاهين عن الطريق السوي وردّهم إلى جادة الصواب واتباع منهج الحق.

٥- الكشف عن سنن الكون والحياة وتسخيرها في عمارة الأرض وتنمية الحياة، وتأسيس العقلية المسلمة التي ترى أن التفكير في الكون والأنفس فريضة وعبادة يتقرب بها إلى الله عزوجل، إذ أن كثيراً من آيات القرآن دعت إلى النظر في حقيقة الوجود والكون، وآفاق النفس.

### التوصيات:

١- العودة بالأمة إلى منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وذلك بتوجيههم لتلقي القرآن بقصد

الانتفاع والامتنال والعمل به مع قصد التلاوة والحفظ، إذ لو طُبّق هذا المنهج لأحدثت المدارس القرآنية ثورة تغييرية شاملة ونخضة حضارية كبرى ، ولأحسنست الاستفادة من معطيات العصر.

٢ - عقّد لقاءات وبرامج دورية تجمع أهل العلم والاختصاص بغرض دراسة الخطط والمناهج العملية التي تفيد في التدبر وسبل تفعيلها، ومن ثم نشرها بين المؤسسات والمدارس القرآنية، وتدريب كوادر مؤهلة لتنفيذ هذه البرامج

بآليات ووسائل متنوعة ومناسبة لكافة شرائح المجتمع ثم عرضها عبر وسائل الإعلام المختلفة.

٣- إقامة دورات تدريبية للعاملين في المدارس والحلقات والدور القرآنية على التدبر وطرقه ومناهجه ؛ ليتمكنوا من تفعيل طلاب التحفيظ وتربيتهم على ذلك.

### فهرس المراجع

- ١- الإتيقان في علوم القرآن، عبدالرحمن السيوطي، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط٤، (١٣٩٨هـ).
- ٢- أحكام القرآن، أحمد بن علي الجصاص، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (١٤٠٥هـ).
- ٣- أخلاق حملة القرآن، محمد بن الحسين بن عبدالله الآجري، تحقيق: أحمد شحاتة، دار الصفاء والمروة بالإسكندرية، ط١، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).
- ٤- الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر - بيروت، ط٢.
- ٥- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٧، (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م).
- ٦- البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض. دار الكتب العلمية - لبنان - بيروت ط١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- ٧- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بدون سنة الطبع.
- ٨- التبيان في آداب حملة القرآن، يحيى بن شرف النووي، تحقيق: محمد الحجار، دار ابن حزم، بدون سنة الطبع.
- ٩- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م.
- ١٠- تدبر القرآن، سلمان بن عمر السنيدي، مجلة البيان ط٢ (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).
- ١١- تدبر القرآن بين النظرية والتطبيق، د. رقية طاهر جابر العلواني الموقع [www.drruqaia.com](http://www.drruqaia.com)
- ١٢- تدبر القرآن الكريم، د. فهد بن مبارك الوهيبي، مجلة الدراسات القرآنية العدد (٨) (١٤٣٢هـ).
- ١٣- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ).
- ١٤- تعليم تدبر القرآن الكريم، أساليب عملية ومراحل منهجية، د. هاشم بن علي الأهدل، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، بدون سنة الطبع.
- ١٥- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر

- والتوزيع، ط٢، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
- ١٦- تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الرياض، ط٣، (١٤١٩هـ).
- ١٧- تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، - (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).
- ١٨- التوابين، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار الكتب العلمية - بيروت، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).
- ١٩- تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
- ٢٠- جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ٢١- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م).
- ٢٢- حقائق التفسير، محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي المتوفى، تحقيق سيد عمران، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).
- ٢٣- خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام، للنووي، تحقيق: حسين إسماعيل الجمل، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).
- ٢٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، : محمود الألوسي، : دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٢٥- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط٣، (١٤٠٤هـ).
- ٢٦- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر - بيروت.
- ٢٧- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، : دار الفكر، بدون سنة الطبع.
- ٢٨- سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، حقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).
- ٢٩- سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، إحياء التراث العربي - بيروت، بدون سنة الطبع.
- ٣٠- سنن الدارمي عبدالله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط١، (١٤٠٧هـ).

- ٣١- سنن النسائي الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق : د. عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، (١٤١١هـ - ١٩٩١م).
- ٣٢- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت ط٩ (١٤١٣هـ-١٩٩٣م).
- ٣٣- شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن -الرياض (١٤٢٦هـ).
- ٣٤- شرح صحيح البخاري، علي بن خلف بن عبد الملك بن بطلال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - الرياض - ط٢ (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م).
- ٣٥- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، (١٤١٠هـ).
- ٣٦- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان البستي، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٢، (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).
- ٣٧- صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق : د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت ، (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م).
- ٣٨- صحيح البخاري محمد بن إسماعيل، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، الناشر : دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت، ط٢، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
- ٣٩- صحيح الجامع الصغير وزيادته ، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بدون سنة الطبع.
- ٤٠- صحيح سنن أبي داود، : محمد ناصر الدين الألباني، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع ، الكويت، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ٤١- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، : دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٤٢- عدم تدبر القرآن د. ناصر العمر موقع بصائر على الانترنت [www.basaer-online.com](http://www.basaer-online.com)
- ٤٣- عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٢، (١٤١٥هـ).
- ٤٤- غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي ، تحقيق : د. محمد عبد المعيد خان ، دار الكتاب العربي - بيروت، ط١ (١٣٩٦هـ).
- ٤٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، : دار المعرفة - بيروت، (١٣٧٩هـ).
- ٤٦- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر - بيروت، (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).
- ٤٧- فهم القرآن ومعانيه، الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي، تحقيق: حسين القوتلي، ، دار الفكر -

بيروت، ط٢، (١٣٩٨هـ).

٤٨- الفوائد، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٢، (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م).

٤٩- قواعد وضوابط التدبر د. عمر المقبل، موقع المسلم. [www.almoslim.net/node/139579](http://www.almoslim.net/node/139579)

٥٠- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، بدون سنة الطبع.

٥١- كشف المشكل من حديث الصحيحين، عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق : علي حسين البواب، دار الوطن - الرياض ( ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

٥٢- لباب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخانز، دار الفكر - بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٥٣- لسان العرب، : محمد بن مكرم بن منظور، ط١، دار صادر - بيروت، بدون سنة الطبع.

٥٤- المبسوط في القراءات العشر، أحمد بن الحسين بن مهران، تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، دار القبلة ، ودار علوم القرآن ط٢ (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).

٥٥- مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق : أنور الباز - عامر الجزار، دار الوفاء، ط٣، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).

٥٦- المحرر الوجيز، محمد عبدالحق بن غالب بن عطية ،تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - لبنان، ط١ (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).

٥٧- مختصر منهاج القاصدين، أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، تحقيق سعد العارف ، دار إحياء العلوم (١٤١٨هـ-١٩٩٧م).

٥٨- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق : رضوان جامع رضوان، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع - القاهرة، ط(١٤٢١هـ-٢٠٠١م).

٥٩- المستدرک على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، (١٤١١هـ - ١٩٩٠م).

٦٠- مسند أحمد، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، : مؤسسة قرطبة - القاهرة، بدون سنة الطبع.

٦١- المصنف، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط٢، (١٤٠٣هـ).

٦٢- المصنف في الأحاديث والآثار، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق : كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، ط١، (١٤٠٩هـ).

٦٣- معالم التنزيل، محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).



- ٦٤- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم - الموصل، ط٢، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م).
- ٦٥- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى. أحمد الزيات. حامد عبد القادر. محمد النجار، تحقيق : مجمع اللغة العربية، دار الدعوة ، بدون سنة الطبع.
- ٦٦- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
- ٦٧- مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية - بيروت (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).
- ٦٨- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر أيوب بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية - بيروت، بدون سنة الطبع.
- ٦٩- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣.
- ٧٠- النشر في القراءات العشر ، لأبي الخير محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، مكتبة الباز - مكة (١٤٢٣هـ).
- ٧١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية. بيروت، ط٢، ( ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٢م).
- ٧٢- النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد الجزري، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت ، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).